

القرآن الثقل الأكبر

الإمام الخميني قُدَّسَ سِتُّهُ

اعداد

مركز الإمام الخميني الثقافي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كتاب أنزلناه إليك لتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

قال رسول الله ﷺ: " إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع وما حلّ مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدلُّ على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل، وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له تخوم، وعلى تخومه تخوم، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائب، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليُجَلِّ جال بصره، وليبلغ الصفة نظره ينج من عطب ويتخلص من نشب".

وقال علي عليه السلام: " واعلموا أنّ هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش،
والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس القرآن أحد
إلاّ قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى، أو نقصان في عمى".
إنّ من الضرورة بمكان أن تركزّ الأمة الإسلامية اليوم على هذا التعريف
الذي قدّمه نبي الإسلام للقرآن.

إنّ البيئة المعاشية للمسلمين لم تلوّث إلى هذا الحد الذي تلوّثت به
اليوم من سحب سوداء متراكمة وقطع الليل المظلم.

صحيح أننا نجد القرآن، ومنذ الخطوات الأولى التي تلت تحوّل الخلافة
الإسلامية إلى السلطنة الطاغوتية - وقد تحوّل في الواقع إلى زائدة كمالية،
وخرج بشكل رسمي - وان لم يكن ذلك بشكل إسمي - عن المجال
الحياتي للمسلمين، إلاّ أن ما حدث في جاهلية القرن العشرين من خلال
عمل الأجهزة السياسية والإعلامية المعقدة، يعدّ أخطر من ذلك بمراتب،
وأكثر بعثاً على القلق بلا ريب.

ولكي يُعزل الإسلام عن الحياة، فإن أكبر وسيلة وأكثرها أثراً هي إخراج
القرآن عن المجال الذهني والقلبي والعملي للأمة الإسلامية، وهذا بالتأكيد
ما عمل له المتسلطون الأجانب والعملاء الداخلون لهم سالكين هذه
السبيل عبر الاستعانة بشتى الأنماط والوسائل.

إنّ القرآن وهو "حسب تعبيره هو" الكتاب المقدس، والنور، والهدى
والفرقان بين الحق والباطل، والحياة، والميزان والشفاء، والذكر، لا تتم له
هذه الخصال - بشكل عملي - إلاّ إذا تمّ قبل كل شيء استيعابه فهماً،
وتطبيقه عملاً.

لقد كان القرآن في عصر الحكم الإسلامي في الصدر الأول هو القول الفصل والكلمة الأخيرة، وحتى كلام رسول الله ﷺ فإنه يجب أن يعرض عليه، وكان حملة القرآن يتمتعون بمكانة مرموقة في المجتمع بعد أن كان رسول الله ﷺ قد أعطى الأمة التعليم القائل: "أشرف أمتي أصحاب الليل وحملة القرآن".

لقد كان استيعاب القرآن علماً وعملاً، يشكل قيمة واقعية، فللعثور على حلّ لكل مشكلة حياتية يجب الرجوع إلى القرآن، ولقد كان القرآن ملاك قبول أيّ حديث، أو أسلوب، أو مدعى، ومعياره كان عليهم أن يعرفوا الحق والباطل من وجهة نظر القرآن ليشخاصاً نماذجهما ومصاديقهما في ميدان الحياة.

ومنذ فقدت القوى الحاكمة على المجتمعات المسلمة القيم الإسلامية واغتربت عنها ورأت في القرآن - وهو الناطق بالحق وفرقان الحق والباطل - عقبة في سبيلها، بدأ السعي الحثيث لإبعاد كلام الله عن ميدان الحياة، ووجد عقيب ذلك الفصل بين الدين والحياة الاجتماعية، والتفريق بين الدنيا والآخرة، والتقابل بين المتدينين الواقعيين وأهل الدنيا المقتدرين، وأبعد الإسلام عن مركز إدارة مجالات الحياة الاجتماعية للمجتمعات المسلمة، ليقصر على المساجد والمعابد والبيوت وزوايا القلوب، وهكذا وُجد الفصل بين الدين والحياة بكل ما عاد به من خسارة وعلى المدى الطويل.

ومن الطبيعي أن القرآن قبل أن يتمّ الهجوم الواسع للمتسلطين الغربيين - الصليبيين والصهاينة - وإن لم يكن موجوداً في المجال الحياتي بالمعنى

الحقيقي إلا أنه كان يحتل مكانة في أذهان المسلمين وقلوبهم - على تفاوت بينهم في ذلك - غير أن الهجوم الصليبي - الصهيووني في القرن التاسع عشر لم يستطع أن يتحمل حتى هذا القدر أيضاً، إنهم لا يستطيعون أن يتحملوا وجود القرآن الذي يصدر بكل وضوح أمر: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ ويصح بقول: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾، القرآن الذي يريد للمؤمنين أن يكونوا أخوة فيما بينهم، أشداء غضاباً على أعداءهم، مثل هذا القرآن، لا يمكن أن يتحملة المتسلطون الساعون للسيطرة على أزمة أمور المسلمين، ونهب كل شيء لديهم.

إن هؤلاء المتسلطين أدركوا - بكل وضوح - أن القرآن رغم هذا الحضور غير الكامل في حياة الأمة، لن يسمح لتسلطهم ونفوذهم أن يسلكا سبيلهما المنشودين، لذا فقد وضعوا خطة حذف القرآن بشكل كامل، وطبيعي أن لا تمتلك ولن تمتلك هذه الخطة تطبيقاً عملياً، ذلك أن الله تعالى قد وعد الأمة الإسلامية بحفظ القرآن دائماً على أننا لا نستطيع أن نغض النظر عن نتائج ذلك السعي الواسع الأبعاد الذي تمّ من قبلهم بهذا الصدد.

ألخوا اليوم نظرة على ميدان حياة المسلمين، فأين تجدون القرآن؟ هل تجدونه في أجهزة الحكومات؟ أو في النظم الإقتصادية؟ أو في تنظيم العلاقات والمناسبات بين الناس بعضهم مع البعض الآخر؟ في المدارس والجامعات؟ في السياسة الخارجية والعلاقات بين الدول؟ في تقسيم الثروات الوطنية بين فئات الشعب؟ في أخلاقية المسؤولين في المجتمعات

الإسلامية وكل فئات الشعوب التي تتأثر بهم - قليلاً أو كثيراً - ؟ في السلوك الفردي للحكام المسلمين؟ في العلاقات بين الرجل والمرأة؟ في الأرصدة المصرفية؟ في أنماط المعاشرة؟ في أي مكان من الحركة العامة والإجتماعية للناس؟ ولنستثن من كل هذه الميادين الحياتية المساجد والمآذن وأحياناً بعض البرامج - التي لا تعدّ شيئاً - من الإذاعات رياءً وخداعاً لعامة الناس ، ولكن هل جاء القرآن لهذا فقط؟ لقد كان السيد جمال قبل مئة سنة يبكي ويُبكي لهذا الأمر، حيث عاد القرآن يقتصر على الإهداء والتزيين والتلاوة في المقابر والوضع على الرفوف.. ولكن ماذا حدث في المئة سنة هذه؟ نرى ألا يبعث وضع القرآن لدى الأمة الإسلامية على القلق؟

إن الحديث كلّه يتركز على أن القرآن، كتاب حياة الإنسان، إنسان اللانهاية، الإنسان المتكامل، الإنسان ذي الأبعاد، الإنسان الذي لا حدّ لتكامله، إن هذا الهادي والمعلم للإنسان قادر على أن يرعاه في كل العصور، وأن نظام الحياة اللائق بالإنسان، إنما يتبعها ليرفع عن كاهله أنواع الظلم، والتفرقة والفساد، والجهل، والطغيان، والانحراف، والدناءة صلى الله عليه وسلم والخيانة التي ابتلي بها خلال تاريخه الطويل فكانت عقبة في سبيل رشده وتعالیه، كل هذه الأساليب إنما يمكن ان تكون عملية في ظل الهداية القرآنية والمخطط الذي طرحه الكتاب السماوي للحياة الإنسانية.

إن العودة إلى القرآن هي عودة إلى الحياة التي تليق بالإنسان، وهي المهمة الملقة على عاتق المؤمنين بالقرآن، وفي طليعتهم العارفون به، والعلماء والمبلغون الدينيون.

وإن العودة إلى القرآن، شعار لو يطرح نفسه بشكل حقيقي وجدّي، لاستطاع أن يقدم الفارق بين الحق والباطل. كما يجب أن لا تتحمّل الشعوب الإسلامية وجود تلك القوى التي لا تريد ان تقبل مسألة العودة إلى القرآن.

إخواني المسلمين، أخواتي المسلمات.

إننا بعد ان ابتلينا - كذلك - بالبعد عن القرآن وأصبنا بآثار التآمر ضد القرآن من قبل الأعداء العالميين، قد ذقنا طعم العودة إلى القرآن، وإن انتصار الثورة الإسلامية العظيمة في إيران وإقامة نظام الجمهورية الإسلامية، ليعدان من الآثار المباركة الكبرى لهذه العودة.

إن هذا الشعب ليشهد اليوم في أفق حياته، وفي علاقاته الاجتماعية، وفي شكل حكومته ومحتواها، وفي مناقبية قاداته، وفي سياسته الخارجية، وفي نظام التعليم والتربية لديه، يشاهد في كل ذلك لمحات من التعليم القرآني ... إن الذي هبّ علينا لحد الآن إنما هو نسيم في جنة القرآن.. إلا أن الطريق أمام السعي والحركة، ما زال مفتوحاً للوصول إلى بحبوحة هذه الجنة الواقعية.^(١)

* منهجية الثورة الإسلامية ، ص ٧٣.

(١) مقدمة الكتاب مأخوذة من كلام للإمام الخامنئي من كتاب الفكر الأصيل.

كتاب الله وقصته في التاريخ *

قال رسول الله ﷺ: " إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض".

الحمد لله سبحانه، اللهم صل على محمد وآله مظاهر جمالك وجلالك وخزائن أسرار كتابك الذي تجلى^(١) فيه الأحدية^(٢) بجميع أسمائك^(٣)، حتى المستأثر منها الذي لا يعلمه غيرك، واللعن على ظالمهم من أصل الشجرة الخبيثة.. وبعد.

أرى مناسباً أن أقدم - تذكيراً - نفحة قاصرة عن الثقلين^(٤) لا من حيث المقامات الغيبية والمراتب المعنوية والعرفانية، فبيان من هو مثلي أعجز من أن يتجرأ على الحديث عن مقامات عرفانية أحاطت بكل دائرة الوجود من

(١) التجلي: إن العرفاء والفلاسفة الإسلاميين يسمون انكشاف حقائق أنوار الغيب على القلوب الصافية النقية بالتجلي.

(٢) الحضرة الأحدية: يعبر العرفاء عن المتعين الأول في المراتب الإلهية بالحضرة الأحدية ثم تكون مرتبة الألوهية والواحدية.

(٣) الأسماء: عالم الأسماء هو عالم الحقائق التي تلازم واجب الوجود، فالمقصود من الأسماء ليس هو لفظ العالم والقادر بل المسمى بالعالم والقادر، وأما الألفاظ هذه هي أسماء الأسماء.

(٤) الثقلين هي مثني "الثقل"، والثقل في شرح الأحاديث وتفسير القرآن له معانٍ مختلفة، منها: الميراث الثقيل والشيء الكبير، والشيء الثقيل، والشيء الثمين، والأمانة النفيسة والغالية وغير ذلك من معانٍ والمقصود منها في حديث الثقلين هو: القرآن وعترته رسول الله ﷺ.

الملك^(١) إلى الملكوت الأعلى^(٢) ومنه إلى اللاهوت^(٣)، وان ما لا يصل إلى فهمي وفهمك هو ثقيل تحمله، فوق الطاقة إن لم أقل يستحيل، ولا من حيث ما أصاب البشرية لهجرها حقائق المقام العالي للثقل الأكبر والثقل الكبير^(٤) الذي هو الأكبر من ما سواه عدا الثقل الأكبر وهو الأكبر المطلق.

ولا من حيث ما أصاب الثقلين على يد أعداء الله والطغاة المكرة مما يصعب إحصاؤه على من هو مثلي لمحدودية الإطلاع والوقت، ولكنني رأيت مناسباً أن اذكر بإشارة عابرة مقتضبة لما جرى على الثقلين، ولعل في عبارة " لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض " إشارة إلى أن كل ما ألمّ بأي من الثقلين بعد الوجود المقدس لرسول الله ﷺ قد أصاب الثقل الآخر أيضاً وإن هجر أي منهما للآخر، حتى يرد هذان المهجوران الحوض على رسول الله ﷺ، وهل أن هذا الحوض هو مقام اتصال الكثرة

(١) الملك: إن الملك هو الشيء المادي العنصري المحسوس، ويقال عالم الملك لعالم الشهادة الذي هو العالم الطبيعي المشهود الجسماني.

(٢) استدللّ الفلاسفة والمتكلمين على ضرورة وجود عالم يفصل بين عالم الطبيعة أي "عالم الملك" وعالم الألوهية أي "اللاهوت" وان عالم الملكوت هذا هو عالم مجرد من المادة والزمان والمكان بشكل مطلق، واعتبر الحكماء العرفاء أن للملكوت مرتبتين هما: المرتبة الأولى عالم ولادة العقل الإنساني بينما اصطلاحوا على تسمية المرتبة السفلى بـ "الملكوت الأسفل" واعتبروها عالم المثال أي الخيال.

(٣) اللاهوت: انه مقام الواحدية ومقام الجامع باعتبار جامعية للأسماء والصفات.

(٤) مر ذكره سابقاً.

بالوحدة^(١) واضمحلال القطرات في البحر، أم هو شيء آخر لا سبيل للعرفان والعقل البشري إلى إدراكه.

وينبغي القول: إن ما أصاب وديعتي الرسول الأكرم ﷺ، من ظلم الطواغيت هو ظلم للأمة الإسلامية، بل للبشرية جمعاء، يعجز القلم عن تبيانها، ويلزم التذكير هنا بأن حديث الثقلين^(٢) متواتر^(٣) بين جميع

(١) الكثرة: في الفلسفة هي سلسلة مراتب الموجودات وتنوع ظواهر الوجود المادية وغير المادية والوحدة، هي الذات الإلهية التي هي منشأ ومبدأ صدور الوجود كله وجميع الكائنات لذا فإن مقام "اتصال الكثرة بالوحدة" هو مقام ومرتبة أخروية، وهو فوق الكثرة وذيل الوحدة وواسطة صدور الكثرة عن الوحدة، وكان عند بدء الخلق وعودة واتصال الكثرة بالوحدة وحيث كان عند بدء الخلق، وعودة واتصال الكثرة بالوحدة يكون عند نهاية العالم.

(٢) حديث الثقلين من الأحاديث المعروفة، رواه أشخاص كثيرون عن النبي ﷺ مباشرة.

وكثرة مصادر ورواة هذا الحديث من طريق العامة أمر ملفت، ويستنبط من هذا الحديث ومن نظائره أمور مهمة منها:

أ - كما أن القرآن باق بين الناس إلى يوم القيامة، فعترة النبي ﷺ أيضاً ستبقى إلى يوم القيامة، أي أن الأرض لا تخلوا في أيّ زمان من موجود إمام وقائد حقيقي.

ب - إن الرسول ﷺ بإرشاده للمسلمين إلى اتباع هذين الثقلين والأماتين العظيمتين أمّن لهم جميع احتياجاتهم العلمية والدينية، وهداهم إلى أن أهل بيته هم المرجع لاكتساب العلم والمعرفة.

ج - لا يحق لأي مسلم أن يخرج من ظلّ إرشادهم وهدايتهم.

د - جميع العلوم اللازمة والحاجات الدينية للناس موجودة عند أهل بيته ﷺ.

هـ - إذا أطاع الناس غير أهل بيته ﷺ ولم يتمسكوا به، فإنهم سيضلوا.

(٣) التواتر: إخبار جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب وهو اصطلاح أهل الحديث.

المسلمين، وقد روته كتب أهل السنة، الصحاح الستة^(١) وغيرها، عن الرسول الأكرم ﷺ، بألفاظ متعددة وموارد متكررة، فوصل حدّ التواتر. فهذا الحديث حجة بالغة على البشرية جمعاء ولا سيما المسلمين بمختلف مذاهبهم فهم مسؤولون جميعاً عن ذلك بعد أن تمتّ الحجة عليهم، وان كان هناك من عذر للعامة بسبب جهلهم وعدم اطلهم، فلا عذر لعلماء المذاهب.

ولنر الآن ما جرى على القرآن - هذه الوديعة الإلهية، وتركة رسول الإسلام ﷺ لقد شرعت نوائب مفجعة حرية أن يُبكى منها دماً بعد

(١) "الصحاح" جمع "صحيح" وهي ستة كتب صحيحة اختارها علماء العامة من بين كتب الحديث، واتخذوها أساساً ومبنى يرجعون إليه في استنباط الأحكام والعقائد والتفسير وقسم من تاريخ صدر الإسلام، هذه الكتب هي :

أ - صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري "١٩٦ - ٢٥٦ هـ" "٨١٢ - ٨٦٩".
ب - صحيح مسلم، لمسلم بن حجاج النيشابوري المعروف بالقشيري "٢٠٦ - ٢٩٢ هـ".
ق " ٨٧٦ - ٨٢١ م"

ج - سنن ابن ماجة - لمحمد بن يزيد بن ماجه، المتوفى "٢٧٣ هـ. ق، ٨٨٦ م".

د - سنن ابن داوود، لأبي داوود البجستاني سليمان بن داوود، المتوفى، المتوفى "٢٧٥ هـ - ٨٨٨ م".

هـ - جامع الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى "٢٧٩ هـ، ٨٩٢ م".

و- سنن النسائي، لأحمد بن شعيب النسائي، المتوفى "٣٠٢ هـ، ٩١٥ م".

استشهاد الإمام علي عليه السلام^(١)، فقد استغل عباد الأنا والطواغيت القرآن

(١) أمير المؤمنين علي عليه السلام هو أول أئمة المسلمين بعد النبي صلى الله عليه وآله ولد داخل الكعبة عام ٦٠٠م، امه فاطمة بنت أسد، أبوه : أبو طالب، عم النبي صلى الله عليه وآله، منذ سنه السادسة عاش في بيت النبي صلى الله عليه وآله، وهو أول رجل أسلم لرسول الله صلى الله عليه وآله ووعده بالنصرة. في أوائل الدعوة جمع رسول الله قومه وأهله بأمر من الله سبحانه وتعالى ليدعوهم إلى الإسلام فدعاهم لمؤازرته ونصرته، ووعده من يفعل ذلك بأن يكون أخاً له ووصيه، وكرّر دعوته تلك ثلاث مرات، وفي كل مرة كان علي عليه السلام وحده يجيبه بالإيمان والنصرة والمؤازرة.

ويوم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، أخاه رسول الله صلى الله عليه وآله . وعند عودة الرسول صلى الله عليه وآله من حجة الوداع، وفي محل يقال له " غدير خم " بلغ الرسول صلى الله عليه وآله الناس بأن علياً عليه السلام هو ولي أمر المسلمين من بعده ووصيه. كان علي عليه السلام إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله دوماً في أيام وحدته، وناصره له في الصعاب والمخاطر.

لكن وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله والأسباب معروفة نُحْيَ مدة خمسة وعشرين عاماً عن إدارة الحكومة الإسلامية وقيادة الأمة، طوال هذه المدة كان يراقب الامور، ويمنع الانحرافات.

وبعد مقتل الخليفة الثالث، بايعه الصحابة وجمع من الناس للخلافة، ودامت ولايته أربع أعوام وتسعة أشهر، أعاد خلالها معظم التغييرات التي حدثت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله إلى حالتها السابقة، لكن المعارضين الذين رأوا مصالحهم مهددة بالخطر رفعوا لواء المعارضة من كل جانب، وأشعلوا الحروب الداخلية، وسفكوا الدماء بحجة الثأر لدم الخليفة الثالث إلى أن اغتالوا وحيد التاريخ، وأفضل المسلمين بعد النبي صلى الله عليه وآله وهو قائم يصلي في محرابه.

الكريم، واتخذوه وسيلة للحكومات المعادية للقرآن، وأبعدوا مفسري القرآن الحقيقيين والعارفين بالحقائق الحقّة - ممن تعلموا القرآن كله من الرسول الأكرم ﷺ أبعدوهم بذرائع شتى، وبالقرآن، وبمؤامرات معدة من قبل، في وقت لم يزال فيه نداء "إني تارك فيكم الثقلين، مدوّياً في أسماعهم، وفي الحقيقة فقد أخرجوا القرآن - الذي كان وما يزال الدستور الأعظم لحياة البشر وشؤونهم المادية والمعنوية حتى يردوا الحوض - من الميدان - وأبطلوا حكومة العدل الإلهي وهي أحد أهداف هذا الكتاب المقدس، وأسسوا أسس الانحراف عن دين الله وكتابه والسنة الإلهية، فبلغ الأمر حدّاً يخجل القلم عن تبيانه.

وكلما ارتفع هذا البنيان المنحرف ازداد الانحراف، فقد عطّلوا القرآن الكريم إلى حدّ بدا وكأنه لا دور له في الهداية، وهو الكتاب الذي تنزل من مقام الأحدية السامي^(١)، بالكشف^(٢) المحمدي التام، هدى للعالمين، ومحوراً لجميع المسلمين كافة، بل وعموم الأسرة البشرية، والسمو بها إلى

الحديث عن شخصية أمير المؤمنين ﷺ أمر صعب جداً، فهو لم يتوانى للحظة عن التضحية والفداء في سبيل نشر دين الله. تربي في بيته الطيني أبناء كالحسن والحسين "عليهما السلام" وزينب ﷺ الذين تركوا في التاريخ آثاراً عميقة جداً ورفعوا المشعل الوضاء للإنسانية، وكانوا القدوة للبشرية الباحثين عن الحقيقة.

(١) مر ذكره في صفحة ٥ راجع ذلك.

(٢) الكشف: هو زوال الحجاب والوقوف على ما وراء الحجاب من حقائق الأشياء.

ما يجب أن تسموا إليه وإنقاذها وهي وليدة علم الأسماء^(١) من شرور الشياطين والطغاة.

وهو الكتاب الذي تنزل لبسط العدل والقسط في العالم، وتسليم الحكم إلى أولياء الله المعصومين عليهم صلوات الأولين والآخرين ليفوضوه بدورهم لمن يضمن به صلاح الإنسانية.

وبلغ الانحراف إلى درجة أن الحكومات الجائرة والخبثاء من فقهاء البلاط - وهم أسوء من الطغاة - اتخذوا القرآن وسيلة للظلم وترويح الفساد وتسويغ أعمال الظلمة والمعاندين لإرادة الحق تعالى، ووا أسفاه أن القرآن - وهو كتاب الهداية - لم يعد له من دور سوى في المقابر والمآتم، بسبب الأعداء والمتآمرين والجهلة من الأصدقاء، كان الحال كذلك وما زال، فأصبح الكتاب - الذي ينبغي أن يكون وسيلة لتوحيد المسلمين والعالمين، ودستوراً لحياتهم - أصبح وسيلة للتفرقة وإثارة الخلاف، أو عطل دوره كلياً. وقد رأينا كيف يعتبر مرتكباً لكبرى الكبائر من ينادي بالحكومة الإسلامية ويتحدث بالسياسة، في حين أن سيرة الرسول الأعظم ﷺ، والقرآن والسنة ملأى بالنصوص المعنية بدور الإسلام الكبير في الشؤون السياسية، وأصبح وصف عالم الدين بالسياسي مرادفاً لوصفه بعدم الدين وما زال هذا الوصف موجوداً. وأخيراً آل الحال إلى أن تعمد

(١) "علم الأسماء" نوع من العلم والمعرفة يهتم بشؤون القدرة العلمية للموجود الإنساني، والمقصود هو الإنسان هو وليد علم الأسماء، وعلم الأسماء هو علم عرضه الله سبحانه وتعالى على الإنسان ليصبح أهلاً للخلافة على الأرض، ولو لم يعلم الله هذا العلم لآدم لما أصبح أهلاً للخلافة على الأرض.

القوى الشيطانية الكبرى - ابتغاء محو القرآن وحفظ مطامعها الشيطانية - إلى طبع القرآن بخط جميل، وتوزيعه على نطاق واسع وتنفيذ ذلك بأيدي الحكومات المنحرفة التي تتظاهر بالإسلام زيفاً، وهي بعيدة عن تعاليمه، وبهذا المكر الشيطاني تعطل القرآن.

وقد رأينا كيف أن محمد رضا بهلوي^(١) طبع القرآن فاستغل به البعض، وكيف امتدحه قلة من رجال الدين جاهلة بالأهداف الإسلامية.

نحن نفخر، ويفخر شعبنا المتمسك بالإسلام والقرآن بأننا أتباع مذهب يهدف إلى إنقاذ حقائق القرآن - المتمثلة إلى الدعوة بين المسلمين، بل البشرية من المقابر - باعتبارها أنجع علاج منقذ للإنسان من القيود المكبلة لرجليه ويديه وقلبه وعقله، والسائقة له إلى الفناء والعدم والرق والعبودية للطواغيت.

(١) محمد رضا بهلوي هو آخر ملك في السلسلة البهلوية، لد في شهر تشرين الأول عام ١٩١٩، أبوه رضا خان، قام بمؤامرة استلم على أثرها السلطة، وجعل ابنه محمد رضا ولي عهد له، بعد إتمام دراسته الأولى، غادر محمد رضا إلى سويسرا لإكمال دراسته، وبعد عودته التحق بالكلية العسكرية، وفي عام ١٩٤١م قام الحلفاء بعزل رضا خان ونفيه وتعيين محمد رضا ملكاً محله.

عنده ينقسم إلى قسمين رئيسيين هما: العهد الأول: (١٩٤١ - ١٩٥٥) في هذه الفترة لم يتمكن محمد رضا من مسك زمام الحكم بشكل كامل ليحل محل أبيه والعهد الثاني (١٩٥٥ - ١٩٧٨) " في هذه الفترة التي دامت ثلاثة وعشرين عاماً أدار فيها حكومته بصلاحيات كاملة، ومارس سلطته كسلطان مستبد مطلق العنان.

* منهجية الثورة الإسلامية - ص ٧٩.

عظمة القرآن*

إعلم أيها العزيز أن عظمة كل كلام وكل كتاب إما بعظمة متكلمه وكتابه، وإما بعظمة مطالبه ومقاصده، وإما بعظمة نتائجه وثمراته، وإما بعظمة الرسول والواسطة، وإما بعظمة المرسل إليه وحامله، وأما بعظمة حافظه وحارسه، وأما بعظمة شارحه ومبينه، وأما بعظمة وقت إرساله وكيفية إرساله، وبعض هذه الأمور دخيل في العظمة ذاتاً وجوهراً^(١) وبعضها عرضاً بالواسطة، وبعضها كاشف عن العظمة، وجميع هذه الأمور التي ذكرناها موجودة في هذه الصحيفة النورانية بالوجه الأعلى والأوفى، بل هي من مختصاته بحيث أن أي كتاب آخر إما ألا يشترك معه في شيء منها أصلاً، أو لا يشترك معه في جميع المراتب.

أما عظمة متكلمه ومنشئه وصاحبه، فهو العظيم المطلق^(٢) الذي جميع أنواع العظمة المتصورة في الملك والملكوت^(٣) وجميع أنواع القدرة النازلة في الغيب^(٤) والشهادة^(٥) رشحة من تجليات^(٦) عظمة فعل تلك الذات المقدسة، ولا يمكن أن يتجلى الحق تعالى بالعظمة لأحد وإنما من وراء آلاف الحجب والسرادات، كما في الحديث "إن الله تبارك وتعالى

(١) الجوهر: هو الوجود المستقل الذي لا يفتقر إلى محل ولا أنه تابع لشيء آخر.

(٢) المطلق: أي الوجود المطلق، يراد منه الله سبحانه وتعالى الذي لا يحد بحد ويقابله الوجود المقيد، مثل وجود الجماد والنبات والمعادن والعقول والنفوس و...

(٣) راجع صفحة ٥ قد مر ذكره.

(٤) الغيب: ما يقابل عالم الشهود وهو مقام الجمع لدى العرفاء.

(٥) الشهادة: أي عالم الشهادة المحسوسة المادية.

(٦) قد مر ذكره في صفحة ٥ راجع ذلك "التجلي".

سبعين ألف حجاب من نور وظلمة، لو كشفت لأحرقت سبحات وجهه
دونه".^(١)
وعند أهل المعرفة قد صدر هذا الكتاب الشريف من الحق تعالى
بمبدئية جميع الشؤون الذاتية والصفاتية والفعلية، وبجميع التجليات
الجمالية^(٢) والجلالية، وليست لسائر الكتب السماوية هذه المرتبة والمنزلة،
وأما عظمته بواسطة محتوياته ومقاصده ومطالبه فيستدعي ذلك عقد فصل
على حدة، بل فصول وأبواب، ورسالة مستقلة، وكتاب مستقل حتى يسلك
نبذة منها في سلك البيان والتحرير، ونحن نشير بطريق الإجمال بفصل
مستقل إلى كلياته، وفي ذلك الفصل نشير إلى عظمته من حيث النتائج
والثمرات إن شاء الله.

وأما عظمة رسول الوحي وواسطة الإيصال فهو جبرائيل الأمين والروح
الأعظم الذي يتصل الرسول الأكرم ﷺ بعد خروجه عن الجلباب
البشري، وتوجيه شطر قلبه إلى حضرة الجبروت^(٣) بذلك الروح الأعظم،

(١) الحجاب: يقصد العرفاء من الحجاب العوائق التي تتوسط بين العاشق والمعشوق.
(٢) التجلي الجمالي: وهو التجلي بالرحمانية والرحيمية حيث يوجب الرعاية حيث
يوجب الرعاية واللطف والرحمة، وان كل ما هو تجلي جمالي يستلزم التجلي
الجلالي لأن التجلي هو تجلي الحق على حقيقة لذاته عز اسمه وهذا معناه احتجاب
الحق سبحانه بحجاب العز والكبرياء عن غيره هذا هو التجلي بالجلال، كما أن كل
تجلي بالجلال يستلزم التجلي بالجمال.

(٣) الجبروت: يطلق عالم الجبروت على عالم العقول المجردة وقال صدر المتألهين:
إن عالم الجبروت هو عالم العقول الكلية كما يطلق لدى بعض الفلاسفة على عالم
البرزخ.

وهو أحد أركان دار التحقق الأربعة بل هو أعظم أركانها وأشرف أنواعها، لأن تلك الذرات النوارنية ملك موكل للعلم والحكمة وصاحب الأرزاق المعنوية والأطعمة الروحانية، ويستفاد من كتاب الله والأحاديث الشريفة تعظيم جبرائيل وتقدمه على سائر الملائكة.

وأما عظمة المرسل إليه ومتحمّله، فهو القلب التقي النقي الأحمدى الأحدي^(١) الجمعي^(٢) المحمدي الذي تجلى له الحق تعالى بجميع الشؤون الذاتية^(٣) والصفاتية^(٤) والأسمائية والأفعالية، وهو صاحب النبوة الختمية، والولاية المطلقة، وهو أكرم البرية، وأعظم الخليفة وخالصة الكون، وجوهرة الوجود، وعصارة دار التحقق، واللبنة الأخيرة، وصاحب البرزخية الكبرى، والخلافة العظمى.

وأما حافظه وحارسه فهو ذات الحق جلّ جلاله، كما قال في الآية الكريمة المباركة: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾^(٥) وأما شارحه ومبينه فالذوات المطهرة المعصومون من رسول الله ﷺ إلى حجة العصر

(١) الأحد: هو كل شيء لا يكون له مثيل من جنسه.

(٢) الجمع: هو مشاهدة الحق دون انتباه إلى الخلق حيث لا يكون الخلق حجاباً للعارف وهذه مرتبة الفناد.

(٣) التجلي الذاتي: هو انكشاف الحقائق الغيبية من وراء الحجب.

(٤) التجلي الصفاتي: هو تجلي الصفات والأسماء والحجب النوارنية.

(٥) سورة الحجر، الآية ٩.

عجل الله فرجه^(١) والذين هم مفاتيح الوجود، ومخازن الكبرياء ومعادن الحكمة والوحي، وأصول المعارف والعوارف، وأصحاب مقام الجمع^(٢) والتفصيل.

وأما وقت الوحي فليلة القدر^(١) أعظم الليالي و﴿خير من ألف شهر﴾ وأنور الأزمنة، وهي في الحقيقة وقت وصول الولي المطلق والرسول الخاتم ﷺ.

(١) هو الإمام الثاني عشر من أئمة المسلمين من سلالة الرسول الأعظم ﷺ وهو محمد بن الحسن عليه السلام، ولد في الخامس عشر من شهر شعبان من عام ٢٥٥هـ ق أمه نرجس، تولّى الإمامة في عامه الخامس لكنه غاب من أنظار الناس بأمر من الله وبسبب الأوضاع في ذلك الزمان، وقسمت غيبته إلى قسمين: فترة الغيبة الصغرى ودامت ٦٩ عاماً، كان خلاله يتصل مع الناس بشكل غير مباشر بواسطة نواب أربعة، وبعد وفات النائب الرابع بدأت فترة الغيبة الكبرى، وهي مستمرة إلى يومنا هذا، حتى يقضي الله سبحانه و تعالى بظهوره ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً.

الفكر الإسلامي يعتبر أن المواجهات المستمرة للإمام المهدي عليه السلام وظهوره في آخر حلقة من حلقات مواجهة أهل الحق مع أهل الباطل، أي أن مواجهات أهل الحق على مر التاريخ تبقى متأججة، وأرضية انتصار الحق تتحقق يوماً بعد يوم إلى أن يتحقق ظهور المهدي الموعود عليه السلام وعندما تصل هذه المواجهات إلى النتيجة النهائية وظهور شمس العدل والحق على البشرية، ذلك اليوم سيكون يوم البلوغ الفكري والمعنوي والاجتماعي للإنسانية.

(٢) مر ذكره في صفحة ١٣ راجع ذلك.

القرآن جوامع الكلم*

وحيث أن الذات المقدسة للحق جل وعلا على حسب كل ﴿يوم هو في شأن﴾^(٢)... يتجلى لقلوب الأنبياء والأولياء في كسوة الأسماء والصفات وتختلف التجليات على حسب اختلاف قلوبهم، والكتب السماوية التي نزلت على قلوبهم بنعت الإيحاء بتوسط ملكا للوح جبرائيل تختلف على حسب اختلاف هذه التجليات وعلى حسب اختلاف الأسماء التي لها المبدئية، كما أن اختلاف الأنبياء وشرائعهم أيضاً باختلاف الدول الاسمائية، فكل اسم تكون إحاطته أكثر ويكون أجمع، تكون دولته أكثر إحاطة، والنبوة التابعة له أكثر إحاطة والكتاب النازل منه أكثر إحاطة وجامعية، وتكون الشريعة التابعة له أكثر إحاطة وأدوم. وحيث أن النبوة الختمية والقرآن الشريف وشريعة سيد البشر من مظاهر المقام الجامع الأحدي وحضرة اسم الله الأعظم ومجاليتها، أو من تجلياتها وظهوراتها

(١) حسب الروايات فإن ليلة القدر هي إحدى ليالٍ ثلاث من شهر رمضان ٢٣، ٢١، ١٩. وحسب القرآن فإن ليلة القدر هي خير من ألف شهر، وإن الله سبحانه وتعالى يقدر كل الأمور في هذه الليلة حتى العالم الثاني، الليلة التي نزلت على النبي الأكرم ﷺ حيث نزلت الملائكة بأمر ربها على النبي ﷺ لتدبير أمرها. ليلة القدر، هي ليلة الرحمة، ليلة العناية الإلهية الخاصة، ومن أجل هذا يوصى أئمة الدين بإحياء هذه الليلة والاستفادة منها بالدعاء والمناجاة مع الله سبحانه وتعالى، وقد عيّنوا أعمالاً وصلوات وأدعية خاصة لهذه الليلة.

* منهجية الثورة الإسلامية، صفحة ٨٩.

(٢) سورة الرحمن، الآية ٢٩.

فلهذا صارت أكثر النبوات والكتب والشرائع إحاطة وأجمعها، ولا يتصور أكمل وأشرف من نبوته وكتابه وشريعته، ولا يتنزل من عالم الغيب^(١) على بسيط الطبيعة علم أعلم منه، أو شبيه له، بمعنى أن هذا هو آخر ظهور للكمال العلمي المربوط بالشرائع، وليس أشرف الموجودات، والمظهر التام للإسم الأعظم، ونبوته أيضاً أتمّ النبوات الممكنة، وصورة لدولة الإسم الأعظم، ولهذه الجهة لهذا الكتاب أحدية الجمع والتفصيل وهو جوامع الكلم، كما أن كلامه ﷺ أيضاً كان من جوامع الكلم، والمراد من كون القرآن أو كلامه من جوامع الكلام ليس أن القرآن، أو انه ﷺ بيّنا الكليات والضوابط بذلك المعنى، كما أن ذلك معلوم في علم الفقه، بل جامعته عبارة عن أن القرآن نزل لجميع طبقات الإنسان في جميع أدوار العمر البشري، وهو رافع لجميع حوائج هذا النوع، وحقيقة هذا النوع حيث أنها حقيقة جامعة وواحدة لتمام المنازل، من المنزل الأسفل الملكي إلى أعلى مراتب الروحانية والملكوت^(٢) والجبروت^(٣)، ولهذه الجهة يختلف أفراد هذا النوع لا يوجدان في أفراد سائر الموجودات، ففي هذا النوع الشقيّ الذي هو في كمال الشقاوة، والسعيد الذي هو في كمال السعادة وهو نوع بعض أفراده أسفل من جميع الحيوانات، وبعض أفراده أشرف من جميع الملائكة المقربين.

(١) مرّ ذكره في صفحة ١٢ فراجع ذلك.

(٢) مرّ ذكره في صفحة ٥ فراجع ذلك.

(٣) مرّ ذكره في صفحة ٥ فراجع ذلك.

وبالجملة، حيث أن أفراد هذا النوع مختلفة متفاوتة في المدارك والمعارف، فالقرآن نزل على نحو يستفيد كلّ منه على حسب كمال - إدراكه ومعارفه - وضعفها، وعلى حسب ما له من الدرجة العلمية.

شروط فهم القرآن*

لو لم تكن التزكية لما أمكن تعليم كتاب الحكمة، يجب تزكية النفوس وتطهيرها من جميع الأدران ، وأعظم الأدران هي النفس الإنسانية والأهواء النفسية، فما دام الإنسان في حجاب نفسه، فإنه لا يستطيع أن يدرك القرآن الذي هو نور، كما يعبر القرآن عنه نفسه، فالذين يقفون خلف حجب عديدة لا يمكنهم أن يدركوا النور، ويظنون أنهم يستطيعون دركه، لكنهم لا يقدرّون على ذلك، ما دام الإنسان لم يخرج من حجاب نفسه المظلم جداً، وطالما انه مبتلي بالأهواء النفسية وطالما انه مبتلي بالعجب، طالما انه مبتلي بالأموال التي أوجدها في باطن نفسه، وتلك الظلمات التي ﴿بعضها فوق بعض﴾^(١)، فإنه لا يكون مؤهلاً لانعكاس هذا النور الإلهي في قلبه.

الذين يريدون فهم القرآن ومحتواه، لا صورته النازلة المحدودة بل يفهموا محتواه ويزدادون سمواً ورقياً كلما قرأوه، ويقتربون من مصدر النور والمبدأ الأعلى كلما قرأوه^(٢) فإن هذا لا يتحقق إلا أن تزول الحجب

(١) سورة النور الآية ٤ "ظلمات بعضها فوق بعض".

(٢) إشارة إلى حديث مروي عن الرسول ﷺ " ثم يُقال له: اقرأ وارق".

و" إنك بنفسك حجاب لنفسك"^(١) لذا يجب رفع هذه الحجب حتى تتمكن من رؤية هذا النور كما هو وكما يليق بالإنسان أن يدركه، فأحد الأهداف هو تعليم الكتاب بعد التزكية، وتعليم الحكمة بعد التزكية.

مائدة القرآن الواسعة*

القرآن هو آيات إلهية، والغرض من البعثة هو المجيء بهذا الكتاب العظيم، وتلاوة هذا الكتاب العظيم والآية الإلهية العظيمة، ورغم أن جميع العالم هو آيات الحق تعالى، لكن القرآن الكريم هو عصارة الخليقة، وعصارة الأشياء التي يجب أن تتم في البعثة، فالقرآن الكريم عبارة عن مائدة أعدّها الباري تبارك وتعالى للبشر بواسطة نبيه الأكرم، ليستفيد كل إنسان بمقدار استعداده.

هذا الكتاب وهذه المائدة الممتدة في الشرق والغرب، ومنذ زمان الوحي وحتى تلاوة يوم القيامة، هو كتاب يستفيد منه كل الناس الجاهل والعالم والفيلسوف والعارف والفقير والكل يستفيدون منه أي انه في الوقت الذي هو كتاب نازل من مرتبة الغيب^(٢) إلى مرتبة الشهود، ومنبسط عندنا نحن الموجودون في عالم الطبيعة، في نفس الوقت الذي هو فيه منزل من ذلك المقام، ووصل إلى الموضوع الذي يمكننا الاستفادة منه، وإنه

(١) جزء من بيت شعر لحافظ الشيرازي يقول فيها: "ليس هناك من حائل بين العاشق والمعشوق، فأنت الحائل يا حافظ فانهض".

* - منهجية الثورة الإسلامية ص ٩١.

(٢) قد مر ذكره في ص ١٢ راجع ذلك.

في الوقت الذي يحتوي على مسائل يستفيد منها جميع الناس الجاهل والعارف والعالم وغير العالم، فإنه يحتوي على مسائل تختص بالعلماء الكبار والفلاسفة العظام، والعرفاء الكبار، والأنبياء والأولياء، إذ أن بعض مسأله لا يتمكن من دركها سوى أولياء الله تبارك وتعالى، إلا من خلال التفسير الوارد عنهم ويستفيد منه الناس بمقدار استعداداتهم، وثمة مسائل يستفيد منها الفلاسفة والحكماء الإسلاميين ومسائل يستفيد منها الفقهاء الكبار، وهذه المائدة عامة للجميع، وكما أن هذه الطوائف تستفيد منه فإن فيه أيضاً المسائل السياسية والاجتماعية والثقافية والعسكرية وغير العسكرية، إذ أن جميعا موجودة في هذا الكتاب المقدس.

إن الغرض من نزول هذا الكتاب المقدس، ومن بعثة النبي الأكرم هو لكي يصبح هذا الكتاب في متناول أيدي الجميع، حتى يستفيدون منه بمقدار سعتهم الوجودية والفكرية، ومع الأسف فلم نتمكن نحن ولا البشرية، ولا علماء الإسلام الاستفادة من هذا الكتاب المقدس بالمقدار الذي ينبغي الاستفادة منه.

يجب على الجميع استخدام أفكارهم، وتسخير عقولهم نحو هذا الكتاب العظيم حتى يتمكن من الاستفادة منه بمقدار استعدادنا وكما هو عليه.

فالقرآن جاء لتستفيد منه جميع الطبقات كل بمقدار استعدادها، وطبعاً فإن بعض الآيات لا يمكن أن يفهمها إلا رسول الله ﷺ والمتعلم بتعليمه ويجب علينا فهمها بواسطتهم وإن الكثير من الآيات الأخرى هي في متناول أيدي الجميع، حيث يجب عليهم استخدام أفكارهم وعقولهم ليستفيدوا منها مسائل للحياة، سواء في هذه الدنيا أو الحياة الأخرى. لذا

فإن أحد أهداف البعثة هو إنزال القرآن الذي كان في الغيب^(١) بصورة غيبية وفي علم الله تبارك وتعالى، وفي غيب الغيوب، بواسطة هذا الموجود العظيم الذي جاهد نفسه كثيراً وكان على الفطرة الحقيقية وفطرة التوحيد وجميع المسائل الأخرى التي جعلته مرتبطاً بالغيب^(٢) وبواسطة الارتباط الذي كان له بالغيب فقد نزل هذا الكتاب المقدس من مرتبة الغيب، بل وقعت للأصل عدّة تنزيلات، حتى وصل لمرتبة الشهادة^(٣)، وخرج بصورة ألفاظ، ويمكنني أنا وانتم والكل فهم هذه الألفاظ والاستفادة من معانيها بمقدار استعدادنا، واستهدفت البعثة بسط هذه المائدة بين الناس منذ زمان نزوله وحتى النهاية، فهذه واحدة من أهداف الكتاب وأهداف البعثة "بعثه عليكم" رسولاً يتلو القرآن عليكم والآيات الإلهية ﴿يذكهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾^(٤).

فقد تكون هذه هي الغاية من التلاوة، فالتلاوة تكون لأجل التزكية والتعليم، وتعليم الجميع.. تعليمهم الحكمة التي هي من هذا الكتاب أيضاً، إذن فههدف البعثة هو نزول الوحي ونزول القرآن، وهدف تلاوة القرآن على البشر هو ليزكوا أنفسهم وينقذوا نفوسهم من هذه الظلمات، حتى تتمكن أرواحهم وأذهانهم بعد ذلك أن تفهم الكتاب والحكمة. فالهدف هو التزكية لأجل فهم الكتاب والحكمة فلا يستطيع أي إنسان وأية نفس أن تدرك هذا النور المتجلي من الغيب المتنزل إلى مرتبة الشهادة.

(١) قد مر ذكره في ص ١٢ راجع ذلك.

(٢) قد مر ذكره صفحة ١٢، راجع ذلك.

(٣) قد مر ذكره في ص ١٢ راجع ذلك.

(٤) سورة الجمعة، الآية ٢.

تفسير القرآن*

إن تفسير القرآن ليس من المهام التي يستطيع أمثالنا أداء حقها، بل إن علماء الطراز الأول - من العامة والخاصة - ألفوا على طوال التاريخ الإسلامي كتباً كثيرة في هذا الباب، ومساعدتهم مشكورة بلا شك، ولكن كل واحد منهم لم يقدّم تفسيراً واحداً وجوه القرآن الكريم وفقاً لتخصصه والوقت الذي كان لديه وحتى هذا فليس من المعروف أنه كان بشكل كامل.

فمثلاً عمد العرفاء على مدى مدة قرون إلى كتاب تفسير عديدة وفق طريقتهم، وهي طريقة المعارف أمثال محي الدين^(١) في بعض كتبه وعبد الرزاق الكاشاني^(٢) في تأويله، والملا سلطان علي^(٣) في تفسيره، وبعضهم

* منهجية الثورة الإسلامية ص ٩٢.

(١) هو محمد علي بن محمد بن عربي (٥٦٠ - ٦٣٤) من كبار عرفاء القرن السابع اشتهر بـ "ابن عربي" و "محي الدين" و "الشيخ الأكبر" له كتابات تفسيرية ضمّتها كتابيه "تفسير القرآن" و "الفتوحات المكية، وغيرهما.

(٢) هو الملا عبد الرزاق (جلال الدين إسحاق الكاشاني السمرقندي الملقب بـ "كمال الدين" من مشاهير العرفاء في القرن الثامن وممن كتبوا شرحاً لفصوص الحكم، وله تفسير "تأويل الآيات أو تأويلات القرآن"

(٣) هو السلطان محمد بن حيدر الجنازدي الخراساني، المشهور بالسلطان عليشاه من العرفاء والصوفيين في القرن الرابع هجري، تفسيره "بيان السعادة في مقامات العبادة" مليء بمباحث فلسفية ورمزية هذا الكتاب طبع عام ١٩٦٥م من قبل مطبعة جامعة طهران في أربعة مجلدات.

أجاد التأليف في الفن الذي كان لديه، ولكن القرآن لا ينحصر فيما ألفوا،
فما قاموا به هو قراءة بعض وجوه القرآن الكريم وقراءة بعض أوراقه.
كما قام الطنطاوي^(١) وأمثاله، وكذلك قطب^(٢) بتفسير القرآن بطريقة
أخرى هي أيضاً ليست تفسيراً للقرآن بكافة معانيه، فهم أيضاً كشفوا حجاباً
واحداً آخراً عنه.

وللكثير من المفسرين - من غير هاتين الطائفتين - تفاسير أخرى
كتفسير "مجمع البيان"^(٣) وهو تفسير جيد جامع بين أقوال العامة والخاصة،
وحال هذه التفاسير كحال سابقتها، فالقرآن ليس ذلك الكتاب الذي نستطيع
نحو أو غيرنا تأليف تفسير جامع له يحوي كافة علومه كما هي، ففيه علوم
هي فوق ما نفهم نحن، إننا نفهم ظاهراً منه، ووجهاً منه، والباقي يحتاج إلى
تفسير أهل العصمة، وهم المعلمون بتعليمات رسول الله ﷺ.

(١) هو الطنطاوي بن جوهر المصري (١٢٨٧ - ١٣٥٨ هـ . ق)، من علماء مصر،
وأستاذة دار العلوم بالقاهرة، ألف كتاب "الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مركزاً فيه
على الجانب الأخلاقي، والمباحث العلمية حيث طبّق ٧٥٠ آية من القرآن مع العلوم
الطبيعية.

(٢) السيد ابن قطب بن إبراهيم هو مفكّر إسلامي مصري في القرن الرابع عشر
الهجري، وهو كاتب ومدرس عربي، عضو في تنظيم "الاخوان المسلمين" ورئيس
تحرير صحيفتهم، أعتقل على يد حكومة "جمال عبد الناصر" وسجن ثم قُتل، ألف
عدة كتب قرآنية منها: التصوير الفني في القرآن، مشاهد القيامة في القرآن تفسير في
ظلال القرآن، وقد اهتم فيه بالجانب الاجتماعي.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، تأليف أبو علي الفضل بن حسن بن فضل
الطبرسي، في تفسيره هذا بحثاً أدبية، والقراءات القرآنية وأقوال المفسرين.

وقد ظهر في الآونة الأخيرة أشخاص ليسوا من أهل التفسير أصلاً أرادوا تحميل ما لديهم من أفكار على القرآن والسنة، حتى إن فئة من اليساريين والشيوعيين عمدت إلى التمسك بالقرآن أيضاً لنفس أهدافهم التي لهم، وهؤلاء لا علاقة لهم أصلاً بالتفسير ولا بالقرآن، فما يريدونه هو خداع شبابنا بما يقدمونه لهم على أنه هو الإسلام.

لا ينبغي للذين لم يصلوا بعد إلى المستويات العالية من النضوج العلمي أن يدخلوا مضمار التفسير، فلا ينبغي للشباب، غير المطلع على هذه المسائل، وعلى المعارف الإسلامية، والذين لا إطلاع لهم على الإسلام - اقتحام ميدان تفسير القرآن، وإذا حدث أن تطفّل أمثال هؤلاء لغايات وأهداف معينة، فلا ينبغي لشبابنا أن يولوا أهمية، أو يقيموا وزناً لمثل هذه التفاسير، فمن الأمور الممنوعة في الإسلام "التفسير بالرأي" كان يعمد أيّاً كان إلى فرض آرائه على القرآن، فليطبق المادي أفكاره على بعض الآيات القرآنية، ويفسر القرآن ويؤوله وفق رأيه، أو أن يعتمد أحد أصحاب الآراء المعنوية والروحية إلى تأويل كل ما في القرآن الكريم، ويفسره بما يعتقد أنه هو، لذا يجب علينا أن نحترز من كليهما من جميع هذه الجهات.

صعوبة فهم باطن القرآن^(١)

إن هذه الآيات التي قيل عنها في رواياتنا أنها جاءت للمتعمّقين في آخر الزمان مثل : سورة التوحيد وست آيات من - آية - سورة الحديد لا أعتقد أن أحداً من الناس اكتشف حقيقتها كما هي الآن، ولا في المستقبل

(١) منهجية الثورة الإسلامية ص ٩٥.

سيكتشف، وطبعاً فقد قيل الكثير في هذا المجال وكُتبت تحقيقات كثيرة وثمانية، إلا أن أفق القرآن هو فوق هذه المسائل ويتصور الإنسان أن كلمة ﴿الأول﴾ في الآية الشريفة ﴿هو الأول والآخِر والظاهر والباطن﴾^(١) تعني أن أول خلق الله و﴿الآخر﴾ هو كذلك و﴿الظاهر﴾ بحسب آثاره أيضاً و﴿الباطن﴾ أيضاً بحسب أسمائه إلا إن الموضوع هو غير هذا الذي فهمناه نحن وفهموه، والموضوع أعمق من هذا ف﴿هو الظاهر﴾ تريد نفي أصل الظهور عن غيره، وأنه خاص به، وحقيقة الأمر هي هكذا، لكن فهم هذا المعنى أن الظهور هو ظهوره وأن العالم وجميع الوجود هو ظهوره، صعب للغاية.

و﴿هو معكم﴾ الواردة في نفس هذه الآيات، فإن ﴿معكم﴾ تعني معنا، أي إنه هنا، ونحن هنا، إن المعية يسميها الفلاسفة بـ "معية القيومية، فهل يتضح الموضوع؟ هل إنها مثل معية العلة والمعلول؟ مثل معية التجلي وصاحب التجلي؟ ليس الموضوع هكذا، وإن المتعمقين في آخر الزمان فهموا بمستوى عمق إدراكهم أفضل من الآخرين، وإلا فإن حد القرآن هو "إنما يعرف القرآن من خوطب به، فهذه الجملة "يعرف القرآن من خوطب به، مرتبطة بمثل هذه الآيات، وإلا فإن بعض الآيات المرتبطة بالأحكام الظاهرية وبالنصائح يفهمها الجميع، وإن المقصود بـ لا يعرفه إلا من خوطب به، هو الرسول الأكرم ﷺ أي أن الوسيط - وهو جبرئيل - لا يمكنه الفهم أيضاً، لقد كان جبرئيل الأمين وسيطاً ليس إلا، يقرأ على

(١) سورة الحديد، الآية ٣.

الرسول ﷺ تلك الآيات الواردة من الغيب، فهو مكلف بإيصالها، لكنه ليس هو " من خوطب به " (١) أيضاً. إن "من خوطب به" هو الرسول الأكرم ﷺ فقط، وإن الآخرين فهموا أيضاً بواسطة ذلك النور المشع من رسول الله ﷺ، والتعليم النوراني الخارج من قلبه إلى قلوب الخواص، وأما أمثالنا - نحن البشر العاديين - فإننا عاجزين حقاً عن فهم حقيقة معنى ﴿هو معكم﴾ فما هي هذه المعية؟ وما هو معنى نور السماوات والأرض ﴿الله نور السماوات والأرض﴾؟ ما يعني ﴿نور السماوات﴾؟ وكيف يكون ﴿نور السماوات﴾؟ ولذا قالوا "منور السماوات وهذا لا يرتبط بالآية أبداً. فالتحول المعنوي، والتحول العرفاني الحاصل بواسطة القرآن هو فوق جميع المسائل، وإن الناس ينظر كل واحد منهم من بعد واحد إلى القرآن، فالبعض ينظرون إلى بعده الظاهري، أو إلى بعده الاجتماعي، أو إلى بعده السياسي، أو إلى بعده الفلسفي، أو إلى بعده العرفاني، بيد أن البعد الحقيقي بين العاشق والمعشوق، والسر الموجود بين الخالق والرسول الأكرم ﷺ لا يمكننا أن نفهمه نحن، وقد نُقلَ عن الإمام الباقر عليه السلام (٢) قوله بأنه قادر على نشر جميع الأحكام والشرائع والحقائق من كلمة "صمد" فهنا سر موجود، طبعاً نحن أيضاً يمكننا فهم أصول المعارف من كلمة "صمد" لكن الإمام الباقر يقول أكثر من ذلك.

(١) مر ذكره مسبقاً بإحدى الهوامش.

(٢) الإمام محمد بن علي باقر العلوم عليه السلام هو الإمام الخامس من أئمة المسلمين (٥٧ - ١١٤) هـق أمه : فاطمة بن الإمام الحسن المجتبي عاش ٧٥ عاماً، ودامت إمامته مدة ١٩ عاماً.

أسفي لأولئك الناس الذين لا يريدون أن يعلموا، ولم يسلكوا طريق العلم، ولم يخطوا خطوة في طريق التعرف على كتاب الله، ولم يحققوا ذلك الارتباط مع مصدر الوحي حيث إن التفسير يأتي من هذا المصدر. وكان هذا الارتباط قائماً بين الخالق ورسوله فقط، وبواسطته أيضاً بين الخواص الذين كانوا موجودين.

الاستفادات ذات البعد الواحد من القرآن (١)

بعد مضي مدة من نزول الإسلام، اهتمت مجموعات مختلفة من أهل العلم بمعنويات الإسلام، وركّزوا أنظارهم على تلك الآيات والروايات المرتبطة بالمعنويات وتهذيب النفس وما وراء الطبيعة... في القرآن الكريم آيات كثيرة عن الأمور المعنوية، أي ذلك الوجه الإنساني الذي هو من عالم الغيب. (٢)

استمر الوضع لفترة طويلة على هذه الشاكلة حيث كان الاهتمام معدوماً أو ضعيفاً بتلك الأحكام الاجتماعية والسياسية وقضايا الساعة، وهؤلاء وقعوا من هذا الطرف أي اقتصرت اهتماماتهم على هذه المسائل الاجتماعية والأحكام السياسية وقضايا الحكم فقط. أولئك كانوا ينظرون إلى ذلك الجانب من الورق لفترات سابقة كالفلاسفة والعرفاء والمتصوفة وأمثالهم، وكان كلامهم يدور حول بيان هذه المعنويات، ويدعون الناس إلى هذه الجهات المعنوية الإسلامية، حتى إن بعضهم حاول إرجاع الآيات

(١) منهجية الثورة الإسلامية ص ٧٩.

(٢) قد مر ذكره سابقاً في صفحة ١٢ راجع ذلك.

أو الروايات الواردة بشأن الأمور الطبيعية والمتحدثة عن قضايا الاجتماع والسياسة إلى تلك الأمور المعنوية، ويعتبرون أن الجميع مرتبط بذلك الجانب، فهم كانوا ينظرون إلى الجانب الباطني للقرآن والإسلام... ينظرون إلى المعنويات فقط، ويغضون أبصارهم عن المواضيع والروايات الواردة بشأن الحكم الإسلامي، والسياسة الإسلامية، والقضايا الاجتماعية، وإعمار هذا العالم، وهذه هي الغفلة... الغفلة عن الإسلام، لأنهم كانوا ينظرون إلى الإسلام من زاوية واحدة فقط، أما الجانب الآخر وعالم طبيعته فإنهم لم يهتموا به، ولم يعلموا أن الإسلام يهتم بعالم الطبيعة أيضاً، ويهتم بجميع تلك الأمور التي يحتاجها الإنسان، لذا فإن إحدى الابتلاءات التي ابتلى بها الإسلام هي أن هؤلاء الأشخاص أمثال المتكلمين، والأكثر منهم الفلاسفة، والأكثر منهم العرفاء والصوفية، أرادوا تفسير جميع الآيات الواردة في القرآن الكريم تفسيراً معنوياً... اهتموا بالباطن وغفلوا عن الظاهر، والآن فإن ابتلاء الإسلام أخذ منحى آخر وهو أن شبابنا ومنتقفونا وعلمائنا الذين تعلموا العلوم المادية، يحاولون تفسير جميع آيات القرآن والروايات الخاصة بالأمور المعنوية تفسيراً طبيعياً عادياً، وهؤلاء مهتمون بالإسلام أيضاً، لكنهم غافلون أيضاً، لأنهم ينظرون للإسلام من جانب واحد، وهاتان الطائفتان لم تفهما الإسلام بمعناه الحقيقي، فالإسلام لا يدعو إلى المعنويات فقط، ولا يدعو إلى الماديات فقط.

انه يدعو إلى كليهما، فقد جاء الإسلام والقرآن الكريم من أجل بناء الإنسان وتربيته في جميع أبعاده.

في بيان مقاصد الكتاب الشريف الإلهي ومطالبه ومشتملاته بطريق
الاجمال والإشارة^(١)

إعلم أن هذا الكتاب الشريف - كما صرح هو به - كتاب الهداية ،
وهادي سلوك الإنسانية ومرّبي النفوس وشافي الأمراض القلبية، ومير
طريق الإسلام إلى الله.

وبالجملة: فإن الله تبارك وتعالى - لسعة رحمته على عباده - انزل هذا
الكتاب الشريف من مقام قربه وقدس، وتنزل به على حسب تناسب
العوالم حتى وصل إلى هذا العالم الظلماني، وسجن الطبيعة، وصار على
كسوة الألفاظ وصورة الحروف لاستخلاص المسجونين في سجن الدنيا
المظلم، وخلاص المغلولين بأغلال الآمال والأمان، وإيصالهم من
حضيض النقص والضعف والحيوانية إلى أوج الكمال والقوة الإنسانية،
ومن مجاورة الشيطان إلى مرافقة الملكوتين، بل الوصول إلى مقام القرب
وحصول مرتبة لقاء الله التي هي أعظم مقاصد أهل الله ومطالبهم، فمن هذه
الجهة هذا الكتاب هو كتاب الدعوة إلى الحق والسعادة، وبيان كيفية
الوصول إلى هذا المقام، ومحتوياته إجمالاً هي ما له دخل في هذا السير
والسلوك الإلهي، أو يعين السالك والمسافر إلى الله، وعلى نحو كلي أحد
مقاصده المهمة الدعوة إلى معرفة الله، وبيان المعارف الإلهية من الشؤون
الذاتية والأسمائية والصفاتية والأفعالية، والأكثر في هذا المقصود هو

(١) الآداب المعنوية للصلاة - ص ٢٢٣.

توحيد الذات^(١) والأسماء^(٢) والأفعال^(٣)، التي ذكر بعضها بالصرحة وبعضها بالإشارة المستقصية.

وليعم أن المعارف من معرفة الذات قد ذكرت في هذا الكتاب الجامع^(٤) الإلهي على نحو تدركه كل طبقة على قدر استعدادها، كما أن علماء الظاهر والمحدثين والفقهاء رضوان الله عليهم يبيّنون ويفسّرون آيات التوحيد الشريفة، وخصوصاً توحيد الأفعال على نحو يخالف ويبين ما يفسّرها أهل المعرفة وعلماء الباطن.

والكاتب يرى كلا التفسيرين صحيحاً في محله، لأن القرآن هو شفاء الأمراض الباطنية، ويعالج كل مريض على نحو خاص، كما أن كريمة ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾^(٥) وكريمة ﴿الله نور السماوات والأرض﴾^(٦) وكريمة ﴿هو الذي في السماء إليه وفي الأرض إليه﴾^(٧) وكريمة ﴿وهو معكم﴾^(٨) وكريمة ﴿أينما تكونوا فثمّ وجه الله﴾^(٩) إلى غير

(١) التوحيد الذاتي : هو أن ذاته واحد.

(٢) مر ذكره في صفحة ٥ راجع ذلك.

(٣) التوحيد الفعلي : هو أن ترى بأنه لا مؤثر في الوجود إلا الله سبحانه وتعالى.

(٤) الكتاب الجامع: أن المقصود من الكتاب الجامع نفس الإنسان من جهة أنها جامعة لجميع مراتب الكمالات التي دونها وأنها العالم الصغير المشابه للعالم الكبير.

(٥) سورة الحديد: الآية ٣.

(٦) سورة النور، الآية ٣٥.

(٧) سورة الزخرف الآية ٨٤، ٤٠.

(٨) سورة الحديد الآية ٤.

(٩) سورة البقرة، الآية ١١٥.

ذلك في توحيد الذات والآيات الكريمة في آخر سورة الحشر وغيرها في توحيد الصفات، وكريمة ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾^(١) وكريمة ﴿الحمد لله رب العالمين﴾^(٢) وكريمة ﴿يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض﴾^(٣) في توحيد الأفعال التي تدل بعضها بوجه دقيق وبعضها بوجه أدق عرفاني، هي شفاء للأمراض عند كل طبقة من طبقات علماء الظاهر والباطن على نحو معين، ففي نفس الوقت الذي تكون الآيات الشريفة مثل آيات أول الحديد والسورة المباركة التوحيد قد نزلت للمتعمقين في آخر الزمان حسب الحديث الشريف في الكافي^(٤) فإن لأهل الظاهر منها نصيب كاف، وهذا من معجزات هذا الكتاب الشريف ومن جامعيته. ومن مقاصده الأخرى مطالبة الدعوة إلى تهذيب النفوس وتطهير البواطن من أرجاس الطبيعة، وتحصيل السعادة. وبالجملة، كيفية السير والسلوك إلى الله، وهذا المطلب الشريف منقسم إلى شعبتين مهمتين.

(١) سورة الانفال ، الآية ١٧.

(٢) سورة الفاتحة، الآية ١.

(٣) سورة التغابن الآية ١.

(٤) الكافي في الحديث والمشهور بـ "الكافي" هو أحد الكتب الأربعة عند المسلمين الشيعة، مؤلفه محمد بن يعقوب إسحاق الكليني الرازي (٣٢٨ - ٣٢٩هـ-ق) والمعروف بـ "ثقة الإسلام، وهو من المحدثين الشيعة، وشيخ مشايخ أهل الحديث. قضى عدة سنوات في تأليف كتابه، وقسمه إلى ثلاث أقسام هي: الأصول ، الفروع، والروضة، ويشمل ٣٤ كتاباً و٣٢٦ باباً و ١٦٠٠٠ حديث.

إحدهما: التقوى بجميع مراتبها المندرجة فيها التقوى عن غير الحق والأعراض المطلق عما سوى الله به.

وثانيهما: الإيمان بتمام المراتب والشؤون المندرجة في الاقبال إلى الحق والرجوع والإنابة إلى ذاته المقدسة، وهذا من المقاصد المهمة لهذا الكتاب الشريف، وأكثر مطالبه ترجع إلى هذا المقصد إما بلا واسطة أو مع الواسطة.

ومن مقاصد هذه الصحيفة الإلهية قصص الأنبياء والأولياء والحكماء وكيفية تربية الحق إياهم، وتربيتهم الخلق، فإن في تلك القصص فوائد لا تحصى وتعليمات كثيرة، ومن المعارف الإلهية والتعليمات وأنواع التربية الربوبية المذكورة والمرموزة فيها ما يحير العقل.

فيا سبحان الله، وله الحمد والمِنَّة، ففي قصة خلق آدم عليه السلام، والأمر بسجود الملائكة، وتعليمه الأسماء وقضايا إبليس وآدم التي كُرِّر ذكرها في كتاب من التعليم والتربية والمعارف والمعالم لمن كان له ﴿قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾^(١) ما يحير الإنسان، ولأجل هذه النكتة كُرِّرَت القصص القرآنية كقصة آدم وموسى وإبراهيم وسائر الأنبياء صلى الله عليهم فليس هذا الكتاب كتاب قصة وتاريخ، بل هو كتاب السير والسلوك إلى الله، وكتاب التوحيد والمعارف والمواعظ والحكم، والمطلوب في هذه الأمور هو التكرار لكي يؤثر في القلوب القاسية، وتأخذ منها الموعظة وبعبارة أخرى إن من يريد أن يربِّي ويعلم وينذر ويبشر فلا بدَّ له أن يرزق مقصده

(١) سورة ق الآية ٣٧.

بالعبارات المختلفة والبيانات المتشعبة، فتارة في ضمن قصة وحكاية وأخرى في ضمن تاريخ ونقل، حيناً بصراحة اللهجة وحيناً بالكناية والأمثال والرموز حتى تتمكن كل من النفوس المختلفة والقلوب المتشعبة الاستفادة منها، وحيث أن هذا الكتاب الشريف لأجل سعادة جميع الطبقات وسلسلة البشر قاطبة، ويختلف هذا النوع الإنساني في حالات القلوب والعادات والأخلاق والأزمنة والأمكنة، ولا يمكن أن تكون دعوته على نحو واحد، فرب نفوس لا تكون حاضرة لأخذ التعاليم بصراحة اللهجة وإلقاء أصل المطلب بنحو عادي، ولا تتأثر بهذا النحو، فلا بد أن تكون دعوة هؤلاء وفق كيفية تفكيرهم، فيفهم إياهم المقصد، ورب نفوس لا شغل لها بالقصص والحكايات والتواريخ، وإنما علاقتها بلب المطالب، ولباب المقاصد، فلا يوزن هؤلاء مع الطائفة الأولى بميزان واحد، ورب قلوب تتناسب مع التخويف والإنذار، وقلوب لها الألفة مع الوعد والتبشير، فهذه الجهة دعا الناس هذا الكتاب الشريف بالأقسام المختلفة، والفنون المتعددة، والطرق المتشعبة والتكرار لمثل هذا الكتاب لازم وحتمي، والدعوة والموعظة من دون تكرار وتفنن خارجة عن حد البلاغة، وما يتوقع منها وهو التأثير في النفوس لا يحصل من دون تكرار ومع هذا فإن ذكر القضايا في هذا الكتاب الشريف كان نحو لا يوجب تكرارها الكسالة في الإنسان، بل هو في كل دفعة يكرر فيها أصل المطلب يذكر فيها خصوصيات ولو احق ليست في غيرها، بل في كل مرة يركز النظر إلى نقطة مهمة عرفانية أو أخلاقية ويطيف المطلب حولها، وبيان هذا المطلب يستلزم استقصاءات كاملة في القصص القرآنية، ولا يسع هذا المختصر،

وفي أمل هذا الضعيف المحتاج أن أولف بالتوفيق الإلهي وبالمقدار الميسور كتاباً في خصوص القصص القرآنية، وحلّ رموزها، وكيفية التعليم والتربية فيها، وإن كان القيام بهذا الأمر من مثل الكاتب أمل لا ينال، وخيال باطل في الغاية.

وبالجملة، فإن ذكر قصص الأنبياء وكيفية سيرهم وسلوكهم وكيفية تربيتهم عباد الله ومواعظهم ومجادلاتهم الحسنة من أعظم أبواب المعارف والحكم، وأعلى أبواب السعادة والتعاليم، قد فتحها الحق تعالى وجلّ مجده على عباده، فكما أنّ لأرباب المعرفة وأصحاب السلوك والرياضة منها حظاً وافراً ونصيباً كافياً كذلك لسواهم أيضاً نصيب وافٍ وسهم غير محدود.

فمثلاً أهل المعرفة يدركون من الكريمة الشريفة ﴿فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً﴾^(١) إلى آخر الآيات كيفية سلوك إبراهيم، وسيره المعنوي، ويعلمون طريق السلوك إلى الله، والسير إلى جنبه، وحقيقة السير الأنفسي، والسلوك المعنوي من منتهى ظلمة الطبيعة التي عبّر عنها في ذلك المسلك بـ ﴿جنّ عليه الليل﴾ إلى إلقاء مطلق الآئبة والأناينة، وترك النفسانية وعبادة النفس، والوصول إلى مقام القدس والدخول في محفل الإنس ﴿وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض﴾^(٢) إلى آخر إشارة إلى ذلك في هذا المسلك، والآخرين يدركون منها السير الأفقي وكيفية تربية خليل الرحمن أمته وتعليمه إياهم. وعلى هذا المنوال سائر القصص

(١) سورة الأنعام، الآية ٧٦.

(٢) سورة الأنعام الآية ٧٩.

والحكايات، مثل قصة آدم وإبراهيم وموسى ويوسف وعيسى "عليهم السلام" وعلاقات موسى مع الخضر عليه السلام، فإن استفادات أهل المعارف والرياضيات والمجاهدات والآخرين تختلف كل منهم عن الآخر، ويدخل في هذا القسم، أو هو مقصد مستقل حكم ومواعظ ذات الحق المقدسة، حيث أنه بنفسه دعا العباد بلسان القدرة في كل مكان مناسب، إما إلى المعارف الإلهية والتوحيد والتنزيه كالسورة المباركة التوحيد، وأواخر سورة الحشر وأوائل الحديد، وسائر موارد الكتاب الشريف الإلهي، ولأصحاب القلوب والسوابق الحسنى من هذا القسم حظوظ لا تحصى.

فمثلاً أصحاب المعارف يستفيدون من الكريمة المقدسة ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾. (١)

قرب النافلة^(٢) والفريضة، وفي نفس الحال يستفيد السائرون - الخروج بالبدن - والهجرة مثلاً لمكة أو للمدينة، أو دعاهم إلى تهذيب النفوس والرياضيات الباطنية كالكريمة الشريفة ﴿قد أفلح من زكّاهَا وقد خاب من دسّاهَا﴾^(٣) إلى غير ذلك... أو دعاهم إلى العمل الصالح كما هو معلوم، أو حذرهم عن مقابلات كل من ذلك، وتدخل في هذا القسم أيضاً الحكم اللقمانية وحكم سائر الأجلّة والمؤمنين المذكورة في الموارد المختلفة في هذه الصحيفة الإلهية كقضايا أصحاب الكهف.

(١) سورة النساء، الآية ١٠٠.

(٢) النافلة هي العبادة التي لا يعد العمل فيها واجباً كصلاة النافلة المستحبة.

(٣) سورة الشمس الآية ١٠٩.

ومن مطالب هذه الصحيفة النوارنية أحوال الكفار والجاحدين والمخالفين للحق والحقيقة والمعاندين للأنبياء والأولياء عليهم السلام، وبيان كيفية عواقب أمورهم وكيفية بوارهم وهلاكهم كقضايا فرعون وقارون ونمرود وشداد وأصحاب الفيل وغيرهم من الكفرة والفجرة، ففي كل واحدة منها مواعظ وحكم، بل معارف لأهله، ويدخل في هذا القسم قضايا إبليس الملعون، ويدخل في هذا القسم أيضاً أو انه قسم مستقل قضايا غزوات رسول الله صلى الله عليه وآله التي فيها أيضاً مطالب شريفة مذكورة، منها كيفية مجاهدات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله لإيقاظ المسلمين من نوم الغفلة، وبعثهم للمجاهدة في سبيل الله، وتنفيذ كلمة الحق وإماتة الباطل.

ومن مطالب القرآن الشريف بيان قوانين ظاهر الشريعة والآداب والسنن الإلهية، وقد ذكرت كلياتها ومهماتها في هذا الكتاب النوراني والعمدة في هذا القسم الدعوة إلى أصول المطالب وضوابطها مثل باب الصلاة والزكاة^(١) والخمس^(٢) والحج والصوم والجهاد والنكاح والإرث

(١) الزكاة هي الضرائب التي تجبها الحكومة الإسلامية من تسعة محاصيل وبمقدار محدد، وهي الأنعام الثلاثة والنقدين والغلات الأربعة.
١- الجمال ٢- البقر ٣- الغنم ٤- الذهب ٥- الفضة ٦- القمح ٧- الشعير ٨- التمر ٩- الزبيب .

وهناك نوع آخر من الزكاة هو زكاة الفطرة التي تجب في ليلة عيد الفطر ومقدارها ما يعادل ٣ كيلو غرام من القوت الرائج أو ثمنها من مال.

(٢) الخمس هو أحد الواجبات في الإسلام، ويجب على الأموال السبعة هذه:
١ غنائم الحرب المأخوذة من الكفار الحربيين ٢ المعادن ٣ الكنز ٤ الجواهر المستخرجة من البحار كالمرجان واللؤلؤ ٥ المال الحلال المختلط بالحرام إذا تعذر الفصل بينهما ٦ الأرض التي يشتريها الكافر الذمي من المسلم ٧ ما يزيد على المصروف السنوي للشخص.

والقصاص والحدود والتجارة وأمثالها، وحيث أن هذا القسم وهو علم ظاهر الشريعة عام المنفعة ومجوعول لجميع الطبقات من حيث تعمير الدنيا والآخرة، وتستفيد كل طبقات الناس منه بمقدارها، فالدعوة إليه كثيرة لهذه الجهة. وفي الأحاديث الشريفة والأخبار أيضاً أن خصوصياته وتفصيله إلى حدٍ وافر، وتصانيف علماء الشريعة في هذا القسم أكثر وأعلى من سائر الأقسام.

ومن مطالب القرآن الشريف: أحوال المعاد والبراهين لإثباته، وكيفية العذاب والعقاب والجزاء والثواب وتفصيل الجنة والنار والتعذيب والتنعيم.

وقد ذكرت في هذا القسم حالات أهل السعادة ودرجاتهم من أهل المعرفة والمقربين، ومن أهل الرياضة والسالكين، ومن أهل العبادة والناسكين، وكذلك حالات أهل الشقاوة ودرجاتهم من الكفار والمحجوبين والمنافقين والجاحدين وأهل المعصية والفاستين، ولكن ما كان أكثر فائدة لحال العامة كان أكثر ذكراً وبصراحة اللهجة، وما كان مفيداً لطبقة خاصة، فقد ذكر بطريق الرمز والإشارة مثل ﴿ورضوان من الله أكبر﴾^(١) وآيات لقاء الله لتلك الطائفة، ومثل ﴿كلاً إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾^(٢) للطائفة الأخرى، وقد ذكر في هذا القسم أي قسم تفصيل المعاد والرجوع إلى الله معارف لا تحصى، وأسراً صعبة مستصعبة لا يمكن الإطلاع على كیفيتها إلا بالسلوك البرهاني أو النور العرفاني.

(١) سورة التوبة الآية ٧٢

(٢) سورة المطففين الآية ١٥.

ومن مطالب هذه الصحيفة الإلهية كيفية الاحتجاجات والبراهين التي ذكرها الله وهي إما اقامتها الذات المقدسة الحق تعالى بنفسه لإثبات المطالب الحقّة والمعارف الإلهية مثل الاحتجاج إلى إثبات الحق والتوحيد والتنزيه والعلم والقدرة وسائر الأوصاف الكمالية، وقد يوجد في هذا القسم براهين دقيقة يستفيد أهل المعرفة منها استفادة كاملة مثل ﴿شهد الله انه لا إله إلا هو﴾^(١) وقد توجد براهين يستفيد الحكماء والعلماء منها على نحو، ويستفيد أهل الظاهر وعامة الناس على نحو آخر، ككريمة ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾^(٢) ومثل كريمة ﴿إذاً لذهب كل إله بما خلق﴾^(٣) ومثل آيات أول سورة الحديد والسورة المباركة التوحيد وغيرها، ومثل الاحتجاج على إثبات المعاد ورجوع الأرواح وإنشاء النشأة الأخرى والاحتجاج على إثبات - ملائكة الله والأنبياء العظام - الموجودة في موارد مختصة من هذا الكتاب الشريف.

هذه حال احتجاجات نفس الذات المقدسة، وأما أن الحق تعالى نقل براهين الأنبياء والعلماء على إثبات المعارف مثل احتجاجات خليل الرحمن سلام الله عليه وغيره.

هذه مهمّات مطالب هذا الكتاب... وإلا فالمطالب المتفرقة الأخرى أيضاً موجودة ويستلزم إحصاؤها وقتاً كافياً.

(١) سورة آل عمران، الآية ١٨.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٢٢.

(٣) سورة المؤمنون الآية ٩١.

في بيان طريق الاستفادة من القرآن الكريم^(١)

فإذا علمت الآن مقاصد هذه الصحيفة الإلهية ومطالبها فلا بد لك أن تلفت النظر إلى مطلب مهم يكشف لك بالتوجه إليه طريق الاستفادة من الكتاب الشريف، وتفتح على قلبك أبواب المعارف والحكم وهو أن يكون نظرك إلى الكتاب الشريف الإلهي نظر التعليم، وتراه كتاب التعليم والإفادة وترى نفسك موظفة على التعلم والاستفادة، وليس مقصودنا من التعليم والتعلم والإفادة والاستفادة أن تتعلم منه الجهات الأدبية والنحو والصرف أو تأخذ منه الفصاحة والبلاغة والنكات البيانية والبديعية، أو تنظر في قصصه وحكاياته بالنظر التاريخي والإطلاع على الأمم السالفة، فإنه ليس شيء من هذه داخلاً في مقاصد القرآن، وهو بعيد المنظور الأصلي للكتاب الإلهي بمراحل والذي أوجب أن تكون استفادتنا من هذا الكتاب العظيم بأقل من القليل هو هذا المعنى، فإما ألا ننظر إليه نظر التعليم والتعلم كما هو الغالب علينا، ونقرأ القرآن للثواب والأجر فقط ولهذا لا نعتني بغير جهة تجويده، ونريد أن نقرأه صحيحاً حتى يعطي لنا الثواب ونحن واقفون في الحد وقانعون بهذا الأمر، ولذا نقرأ القرآن أربعين سنة ولا تحصل الاستفادة منه بوجه إلا لأجر والثواب والقراءة، وأما أن نشغل إن كان نظرنا التعليم والتعلم بالنكات البديعية ووجوه إعجازه، وأعلى من هذا بقليل فإلى الجهات التاريخية وسبب نزول الآيات وأوقات النزول، وكون الآيات والسور مكية أو مدنية، واختلاف القراءات واختلاف المفسرين من العامة

(١) - الآداب المعنوية للصلاة، صفحة ٣٣٢.

والخاصة وسائر الأمور العرضية الخارجة عن المقصد بحيث تكون هذه الأمور نفسها موجبة للاحتجاب عن القرآن والغفلة عن الذكر الإلهي بل إن مفسرينا العظام أيضاً صرفوا عمدة همهم في إحدى هذه الجهات أو أكثر ولم يفتحوا باب التعليمات على الناس، وبعقيدتي الكاتب لم يكتب إلى الآن التفسير لكتاب الله لأن معنى التفسير على نحو كلي هو أن يكون شارحاً لمقاصد الكتاب المفسر ويكون مهم النظر إلى بيان منظور صاحب الكتاب، فهذا الكتاب الشريف الذي هو بشهادة من الله تعالى كتاب الهداية والتعلم ونور طريق سلوك الإنسانية يلزم للمفسر أن يعلم للمتعلم في كل قصة من قصصه بل في كل آية من آياته جهة الاهتداء إلى عالم الغيب^(١) وحيثية الهداية إلى طريق السعادة وسلوك طريق المعرفة والإنسانية.

فالمفسر إذا فهم لنا المقصد من النزول فهو مفسر سبب النزول كما هو في التفاسير، ففي قصة آدم وحواء أو قضاياهما مع إبليس من ابتداء خلقهما إلى ورودهما في الأرض، وقد ذكرها الحق تعالى مكررة في كتابه، كم من المعارف والمواعظ المذكورة فيها ومرموز إليها، وكم فيها من معائب النفس وكمالاتها ومعارفها وأخلاق إبليس موجودة فيها تتعرف عليها ونحن عنه غافلون.

وبالجملة، كتاب الله هو كتاب المعرفة والأخلاق والدعوة إلى السعادة والكمال فكتاب التفسير أيضاً لا بد وان يكون كتاباً عرفانياً وأخلاقياً ومبيناً للجهات العرفانية والأخلاقية وسائر جهات الدعوة إلى السعادة التي في

(١) - قد مر ذكره في صفحة ١٢ راجع ذلك.

القرآن، فالمفسر الذي يغفل عن هذه الجهة أو يصرف عنها النظر أو لا يهتم بها فقد غفل عن مقصود القرآن والمنظور الأصلي لإنزال الكتب وإرسال الرسل، وهذا هو الخطأ الذي حرم الملة الإسلامية منذ قرون من الاستفادة من القرآن الشريف وسد طريق الهداية على الناس، فلا بد لنا أن نأخذ المقصود من تنزيل هذا الكتاب من نفس هذا الكتاب مع قطع النظر عن الجهات العقلية البرهانية التي تفهمنا المقصد، فمنصف الكتاب أعرف بمقصده، فالآن إذا نظرنا إلى ما قال هذا المصنف فيما يرجع إلى شؤون القرآن، نرى انه يقول ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾^(١) فعرف هذا الكتاب كتاب الهداية، نرى انه في سورة قصيرة كرر مرات عديدة ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾^(٢)، نرى أنه يقول ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾^(٣) ونرى أنه يقول ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾^(٤) إلى غير ذلك من الآيات الشريفة التي يطول ذكرها.

وبالجملة، ليس مقصودنا من هذا البيان الانتقاد للتفسير فإن كل واحد من المفسرين تحمّل المشاق الكثيرة والأتعاب التي لا نهاية لها حتى صنف كتاباً شريفاً، فله درهم وعلى الله أجرهم، بل مقصودنا هو انه لا بد وان يفتح لناس طريق الاستفادة من هذا الكتاب الشريف الذي هو الكتاب

(١) سورة البقرة، الآية ٢.

(٢) سورة القمر، الآية ١١.

(٣) - سورة النحل، الآية ٤٤.

(٤) - سورة ص، الآية ٢٩.

الوحيد في السلوك إلى الله والكتاب الأحدي^(١) في تهذيب النفوس والآداب والسنن الإلهية، وأعظم وسيلة للربط بين الخالق والمخلوق والعروة الوثقى والحبلى المتين للتمسك بعزّ الربوبية فعلى العلماء والمفسرين أن يكتبوا التفاسير فارسية وعربية وليكن مقصودهم بيان التعاليم والمقررات العرفانية والأخلاقية وبيان كيفية ربط المخلوق بالخالق، وبيان الهجرة من دار الغرور إلى دار السرور والخلود على نحو ما أودعت في هذا الكتاب الشريف، فصاحب هذا الكتاب ليس هو السكاكي^(٢) والشيخ^(٣)

(١) قد مر ذكره في صفحة ١٣.

(٢) هو ابو يعقوب يوسف بن ابن بكر بن محمد الخوارزمي المعتزلي الحنفي الملقب سراج الدين السكاكي صاحب كتاب مفتاح العلوم الذي لخص القسم الثالث منه خطيب دمشق وشرحه التفتازاني بالمطول والمختصر توفي سنة ٧٢٦ (خكو).

(٣) - والشيخ هو ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي عماد الشيعة ورافع أعلام الشريعة شيخ الطائفة على الاطلاق ورئيسها الذي تلوى إليه الاعناق صنّف في جميع علوم الإسلام وكان القدوة في ذلك والإمام تتلمذ على الشيخ المفيد والشيخ المرتضى وكان فضلاء تلامذته الذين كانوا مجتهدين وأهل الاقتداء يزيدون على ثلاثمائة من الخاصة والعامة ولد (ره) في شهر رمضان سنة ٣٨٥ بعد وفاة السيد الرضى بستين وكان ببغداد ثم هاجر إلى مشهد أمير المؤمنين عليه السلام خوفاً من الفتنة التي تجددت ببغداد وأحرقت كتبه وكرسيه كان يجلس عليه للكلام فيكلم عليه الخاص والعام وكان ذلك الكرسي مما اعطته الخلفاء وكان ذلك لوحد العصر فكان مقامه في بغداد مع الشيخ المفيد "ره" نحواً من خمس سنين ومع السيد المرتضى نحو من ثمان وعشرين سنة وبقي بعد السيد أربعا وعشرين سنة، اثنتا عشرة سنة منها في

فيكون مقصده جهات البلاغة والفصاحة وليس هو سيبويه^(١) والخليل حتى يكون منظوره جهات النحو والصرف، وليس المسعودي^(١) وابن

بغداد ثم انتقل إلى النجف الأشرف وبقي هناك إلى أن توفي ليلة الاثنين الثاني والعشرين من شهر المحرم سنة ٤٦٠ هـ (١٠٠٠ م) وكان مدة عمره الشريف خمساً وسبعين سنة ودفن في داره وقبره الآن معروف في المسجد الموسوم بالمسجد الطوسي. وأما مصنفااته الشريفة في علوم الإسلام فهي لشهرتها تغنيا عن إيرادها والتفسير الذي أشار إليه الإمام الخميني هو البيان الجامع لعلوم القرآن وهو كتاب جليل عديم النظير في التفاسير وشيخنا الطبرسي في تفسيره من بحره يعترف وفي صدر كتابه بذلك يعترف فعليه رضوان الله الخبير اللطيف.

(١) - وسيبويه هو أبو الحسن أو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي البضاوي العراقي البصري النحوي المشتهر بكلامه وكتابه في الآفاق الذي قال في حقه العلامة الطباطبائي بحر العلوم رحمه الله تعالى أن المتقدمين والمتأخرين وجميع الناس في النحو عيال عليه أخذ عن الخليل بن أحمد النحوي المعروف الذي ذكره الإمام في كلمات علماء النحو في مدح كتابه المسمى الكتاب ولهم عليه شروح وتعليقات وردود نشأت من اعتنائهم واشتغالهم به وقصة وروده بغداد ومناظرته مع الكسائي معروفة قالوا توفي حدود سنة ١٨٠ هـ (٢٧٠ م) وقبره في شيراز، وقال ابن شحنة الحنفي في روضة المناظر قال أبو الفرج ابن الجوزي توفي سيبويه سنة ١٩٤ هـ (٢٧٤ م) وعمره اثنان بمدينة ساوة وقبره بها، "انتهى"، وكان شاباً نظيفاً جميلاً أبيض مشرباً بحمرة كأن حدود لون التفاح ولذلك يقال سيبويه لأن التفاح بالفارسية سيب أو لأنه كان يعتاد شم التفاح أو كان يشم منه رائحته أقول وعلى الوجهين الأخيرين فالأنسب أن يكون اسمه سيبويه بضم الباء وسكون الواو وفتح الياء.

خلكان^(٢) حتى يبحث حول تاريخ العالم، هذا الكتاب ليس كعصي موسى ويده البيضاء أو نفس عيسى الذي يحيي الموتى فيكون للإعجاز فقط وللدلالة على صدق النبي الأكرم ﷺ بل هذه الصحيفة الإلهية كتاب

(١) شيخ المؤرخين وعمادهم ابو الحسن غلي بن الحسين بن علي المسعودي الهذلي العالم الجليل الألمعي ذكره العلامة وقال له كتاب في الإمامة وغيرها من كتاب إثبات الوسيلة لعلي بن ابي طالب عليه السلام وهو صاحب مروج الذهب "انتهى".

حكى انه نشأ في بغداد وساح في البلاد فطاف فارس وكرمان سنة ٣٠٩ وقصد الهند إلى ملتان وعطف إلى كنباية فسرنديب ثم ركب البحر إلى بلاد الصين وطاف البحر الهندي وعاد إلى عمان ورحل رحلة أخرى سنة ٣١٤ إلى ما وراء آذربيجان وجرجان ثم إلى الشام وفلسطين وكان يسكن مصر تارة والشام أخرى ومن سنة ٣٢٦ إلى ٣٤٤ أقام بالقسطنطين له كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان في ثلاثين مجلداً لا يوجد منه الا جزء واحد وله أيضاً ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور وكتاب في أخبار الامم من العرب والعجم وكتاب المقالات في أصول الديانات وكتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر وقيل إنه بقي إلى سنة ٣٤٥ (شمه).

(٢) - ابن خلكان هو ابو العباس بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان الاربلي البرمكي الشافعي صاحب كتاب التاريخ المشهور الموسوم بوفيات الأعيان وأبناء الزمان الذي تعرض فيه لذكر المشاهير من التابعين ومن بعدهم إلى زمان نفسه يشتمل على ٨٦٤ ترجمة ولم يذكر فيه الصحابة وقد ذيله صلاح الدين الصفدي بمجلدات تدارك فيها ما قد فاته من الوفيات سمّاها الوافي بالوفيات قيل في وجه تسمية جدّ بن خلكان بخلكان انه كان يوماً يفاخر أقرانه ويفتخر بأبائه من آل برمك فقيل له خلّ كان ابي كذا ودع كذا ودع جدّي كذا ونسبي كذا وحدثنا عمّا يكون في نفسك الآن كما قال الشاعر: إن الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان ابي ، فعلى هذا يكون خلكان بفتح الخاء وتشديد اللام المكسورة.

احياء القلوب بالحياة الأبدية العلمية والمعارف الإلهية، هذا كتاب الله ويدعوا إلى الشؤون الإلهية جلّ وعلا، فالمفسّر لا بد وان يعلم الشؤون الإلهية ويرجع الناس إلى تفسيره لتعلّم الشؤون الإلهية حتى تحصل الاستفادة منه ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾^(١). فأى خسران أعظم من أن تقرأ الكتاب الإلهي منذ ثلاثين أو أربعين سنة ونراجع التفاسير ونحرم مقاصده، ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكون من الخاسرين﴾^(٢).

في بيان رفع الموانع والحجب بين المستفيد والقرآن^(٣)

فإذا علمت الآن عظمة كتاب الله من جميع الجهات المقتضية للعظمة وانفتح طريق الاستفادة المطالب منه فاللازم على المتعلم والمستفيد من كتاب الله أن يجري أدباً آخر من الآداب المهمة حتى تحصل الاستفادة وهو رفع موانع الاستفادة، ونحن نعبر عنها بالحجب بين المستفيد والقرآن، وهذه الحجب كثيرة نشير إلى بعضها:

من الحجب العظيمة حجاب رؤية النفس، فيرى المتعلم نفسه بواسطة هذا الحجاب مستغنية أو غير محتاجة للاستفادة وهذا من المكائد الأصلية المهمة للشيطان من حيث انه يزيّن للإنسان دائماً الكمالات الموهومة ويرضى الإنسان ويقنعه بما فيه ويسقط من عينه كل شيء سوى ما عنده،

(١) - سورة الإسراء آية ٨٢ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٣ .

(٣) الآداب المعنوية للصلاة - صفحة ٣٣٩ .

مثلاً يقنع أهل التجويد بذلك العلم الجزئي ويزينه في أعينهم إلى حد يسقط سائر العلوم عن أعينهم ويطبّق في نظرهم حملة القرآن عليهم ويحرمهم من فهم الكتاب النوراني الإلهي والإستفادة منه، ويرضى أصحاب الأدب بتلك الصورة بلا لبّ ويمثّل جميع شؤون القرآن فيما هو عندهم، ويشغل أهل التفاسير المتعارفة بوجود القراءات والآراء المختلفة لأرباب اللغة ووقت النزول وشأن النزول وكون الآيات مكية أو مدنية وتعدادها وتعداد الحروف وأمثال تلك الأمور، ويقنع أهل العلوم أيضاً بعلم فنون الدلالات فقط ووجوه الاحتجاجات وأمثالها حتى انه يحبس الفيلسوف والحكيم والعارف الاصطلاحي في الغليظ من حجاب الاصطلاحات والمفاهيم وأمثال ذلك، فعلى المستفيد أن يخرق جميع الحجب هذه وينظر إلى القرآن من ورائها، ولا يتوقف في شيء من هذه الحجب ولا يتأخر عن قافلة السالكين ولا يحرم من الدعوات الحلوة الإلهية، ويستفاد عدم الوقوف وعدم القناعة إلى حدّ معين من نفس القرآن.

والإشارة إلى هذا المعنى كثيرة في القصص القرآنية، فموسى الكليم مع ما له من المقام العظيم في النبوة ما اقتنع بذلك المقام وما توقف في مقام علمه الشامخ، وبمجرد أن لاقى شخصاً كاملاً قال له بكل تواضع وخضوع : ﴿هل اتبعك على أن تُعلمن مما علّمتَ رشداً﴾^(١) وصار ملازماً لخدمته حتى أخذ منه العلوم التي لا بد من أخذها.

(١) سورة الكهف الآية ٦٦.

وإبراهيم لم يقتنع بمقام شامخ الإيمان والعلم الخاص للأنبياء فلقال : ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾^(١)، فأراد أن يرتقي من الإيمان القلبي إلى مقام الاطمئنان الشهودي وأعظم من ذلك أن الله تبارك وتعالى يأمر نبيه الخاتم وهو أعرف خلق الله بالكريمة الشريفة ﴿وقل رب زدني علماً﴾^(٢)، فهذه الأوامر في الكتاب الإلهي ونقل هذه القصص لأن نتبّه ونستيقظ من نوم الغفلة.

ومن الحجب: حجاب الآراء الفاسدة والمسالك والمذاهب الباطلة، وهذا قد يكون من سوء استعداد الشخص والأغلب انه يوجد من التبعية والتقليد، وهذا من الحجب التي حجبنا بالأخص عن معارف القرآن مثلاً إذا رسخ في قلوبنا اعتقاد بمجرد الاستماع من الأب أو الأم أو من بعض جهلة أهل المنبر تكون هذه العقيدة حاجبية بيننا وبين الآيات الشريفة الإلهية، فإن وردت آلاف من الآيات والروايات تخالف تلك العقيدة، فأما أن نصرّفها عن ظاهرها أو لا ننظر فيها نظر الفهم والأمثال لذلك فيما يرجع إلى العقائد والمعارف كثيرة ولكنني أكف نفسي عن عدّها لأنني أعلم بأن هذا الحجاب لا يخترق بكلام مثلي، ولكن أشير إلى واحد منها حيث سهل المأخذ في الجملة.

قد وردت الآيات الكثيرة الراجعة إلى لقاء الله ومعرفة الله، ووردت روايات كثيرة في هذا الموضوع مع كثير من الإشارات والكنيات والصرّاحات في الأدعية والمناجاة للأئمة "عليهم السلام" فبمجرد ما نشأت

(١) - سورة البقرة الآية ٢٦٠.

(٢) سورة طه، الآية ١١٤.

عقيدة في هذا الميدان من العوام وانتشرت بأن طريق معرفة الله مسدود بالكلية فيقيسون باب معرفة الله ومشاهدة جماله على باب التفكير في الذات على الوجه الممنوع بل الممتنع، فأما أن يؤولوا و يوجّهوا تلك الآيات والروايات، وكذلك الإشارات والكنيات والصراحات في أدعية الأئمة "عليهم السلام" ومناجاتهم، وأما ألا يدخلوا في هذا الميدان أصلاً ولا يعرفوا أنفسهم بالمعارف التي هي قرّة العين للأنبياء والأولياء، فمما يوجب الأسف الشديد لأهل الله أن باباً من المعرفة الذي يمكن أن يقال انه غاية بعثة الأنبياء "عليهم السلام" ومنتهى مطلوب الأولياء قد سدّوه على الناس بحيث يعدّ التفوّه به محض الكفر وصرف الزندقة إن هؤلاء يرون معارف الأنبياء والأولياء في ما يختص بذات الحق تعالى وأسمائه وصفاته مساوية لمعارف العوام والنساء فيه، بل يظهر من هؤلاء أحياناً ما هو أعظم من ذلك فيقول أحدهم: أن لفلان عقائد عامية حسنة فيا ليت لنا مثلما له من العقيدة العامية.. وهذا الكلام منه صحيح لأن هذا المسكين يتفوّه بهذا الكلام قد أخرج من يده العقائد العامية ويرى معارف الخواص وأهل الله باطلة، فهذا التمني منه عيناً كتمني الكفار، وقد نقل عنهم في الكريمة الإلهية ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً﴾^(١)، ونحن إن أدركنا أن نذكر الآيات والأخبار في لقاء الله بتفاصيلها حتى تتضح فضاحة هذه العقيدة الفاسدة الناشئة عن الجهل والغرور الشيطاني، فيستلزم ذلك كتاباً على حدة فضلاً من أن نذكر المعارف التي وقعت وراء ستر النسيان بواسطة هذا

(١) - سورة النبأ، الآية ٤٠.

الحجاب الغليظ حتى يعلم أن احد مراتب المهجورية من القرآن ومهجورية القرآن ولعلّ الأسف عليها أشدّ هو هذه كما يقول تعالى في الكريمة الشريفة: ﴿وقال الرسول يا ربّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾. (١)

إن مهجورية القرآن لها مراتب كثيرة ومنازل لا تحصى، ولعلنا متصفون بالعمدة منها، أترى أننا إذا جلدنا هذه الصحيفة الإلهية جلدًا نظيفاً وقيماً وعند قراءتها أو الاستخارة بها قبلناها ووضعناها على أعيننا ما اتخذناه مهجوراً؟ أترى إذا صرفنا غالب عمرنا في تجويده وجهاته اللغوية والبيانية والبديعية قد أخرجنا هذا الكتاب الشريف عن المهجورية؟ هل أننا إذا تعلّمنا القراءات المختلفة وأمثالها قد تخلّصنا من عار هجران القرآن؟ هل أننا إذا تعلّمنا وجوه إعجاز القرآن وفنون محسوساته قد تخلّصنا من شكوى رسول الله ﷺ؟ هيهات.. فإنه ليس شيء من هذه الأمور مورداً لنظر القرآن ومنزلها العظيم الشأن، إن القرآن كتاب إلهي وفيه الشؤون الإلهية، القرآن هو الحبل المتصل بين الخالق والمخلوق ولا بد أن يوجد الربط المعنوي والارتباط الغيبي بتعليماته بين عباد الله ومريّهم، ولا بد أن يحصل من القرآن العلوم الإلهية والمعارف اللدنيّة (٢)، أن رسول الله ﷺ قال حسب ما رواه الكافي " إنما العلم ثلاثة: آية محكمة وفريضة عادلة وسنة قائمة" فالقرآن الشريف حامل لهذه العلوم فإن تعلمنا من القرآن هذه العلوم فما اتخذناه مهجوراً، وإذا قبلنا دعوات القرآن وأخذنا التعليمات من

(١) سورة الفرقان، الآية ٣٠

(٢) العلم اللدني: هو العلم الذي يفاض من قبل الله سبحانه مباشرة من دون واسطة في الفيض كما قال الله سبحانه ﴿واتيناه من لدنا علماً﴾.

قصص الأنبياء المشحونه بالمواعظ والمعارف والحكم، إذا اتعظنا نحن من مواعظ الله تعالى ومواعظ الأنبياء والحكماء المذكورة في القرآن فما اتخذناه مهجوراً، وإلا الغور في الصورة الظاهرية للقرآن أيضاً إخلاد إلى الأرض ومن وساوس الشيطان ولا بد من الاستعاذة بالله منها.

ومن الحجب المانعة من الاستفادة من هذه الصحيفة النوارنية : الاعتقاد بأنه ليس لأحد حق الاستفادة من القرآن الشريف إلا بما كتبه المفسرون أو فهموه، وقد اشتبه على الناس التفكير والتدبر في الآيات الشريفة بالتفسير بالرأي الممنوع، وبواسطة هذا الرأي الفاسد والعقيدة الباطلة جعلوا القرآن عارياً من جميع فنون الاستفادة واتخذوه مهجوراً بالكلية في حال أن الاستفادة الأخلاقية والإيمانية والعرفانية لا ربط لها بالتفسير، فكيف بالتفسير بالرأي، فمثلاً إذا استفاد احد من كيفية مذاكرات موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام وكيفية معاشرتهما وشدّ موسى عليه السلام رحاله إليه مع ما له من عظمة مقام النبوة لأخذ العلم الذي ليس موجوداً عنده وكيفية عرض حاجته إلى الخضر كما ذكرت في الكريمة الشريفة: ﴿هل أتبعك على أن تعلمني مما علّمت رشداً﴾^(١)، وكيفية جواب الخضر والاعتذارات التي وقعت من موسى عظمة مقام العلم وآداب سلوك المتعلم، مع المعلم ولعلها تبلغ من الآيات المذكورة إلى عشرين أدباً فأي ربط لهذه الاستفادة بالتفسير فضلاً من أن تكون تفسيراً بالرأي والاستفادة من هذا القبيل في القرآن كثير، ففي المعارف مثلاً إذا استفاد احد من قوله تعالى

(١) سورة الكهف ، الآية ٦٦.

﴿الحمد لله رب العالمين﴾^(١) الذي حصر جميع المحامد لله، وخصّ جميع الأثنية للحق تعالى التوحيد الأفعالي، وقال بأنه يستفاد من الآية الشريفة أن كل كمال وجمال وكلّ عزّة وجلال الموجودة في العالم وتنسبها العين الحولاء والقلب المحدوب إلى الموجودات من الحق تعالى وليس لموجود من قبل نفسه شيء ولذا المحمّدة والثناء خاص بالحق ولا يشاركه فيها احد، فأيّ ربط لهذا إلى التفسير حتى يسمّى بالتفسير بالرأي أو لا يسمّى؟ إلى غير ذلك من الأمور التي تستفاد من لوازم الكلام ولا ربط لها بوجه إلى التفسير مضافاً إلى أن في التفسير بالرأي أيضاً كلام لعلّه غير مربوط بآيات المعارف والعلوم العقلية التي توافق الموازين البرهانية وبالآيات الأخلاقية التي فيها للعقل دخل، لأن التفاسير التي من هذا القبيل مطابقة للبرهان العقلي أو الاعتبار العقلية الواضحة، فإذا كان ظاهر الكلام على خلافها فاللازم أن يصرف الكلام من ظاهره، مثلاً في كريمة ﴿وجاء ربك﴾^(٢) و ﴿الرحمن على العرش استوى﴾^(٣)، التي يكون الفهم العرفي فيها مخالفاً للبرهان ليس تفسيراً بالرأي ولا يكون ممنوعاً بوجه فمن المحتمل بل من المظنون أن التفسير بالرأي راجع إلى آيات الأحكام التي تقصر عنها أيدي الآراء والعقول، ولا بد وان تؤخذ بصرف التعبّد والانقياد من خزّان الوحي ومهابط ملائكة الله، كما أن أكثر الروايات في هذا الباب وردت في مقابل علماء العامة الذين كانوا يريدون أن يهملوا

(١) - سورة الفاتحة، الآية ١.

(٢) - سورة الفجر، الآية ٢٢.

(٣) - سورة طه، الآية ٥.

دين الله بعقولهم ومقايساتهم، وما في بعض الروايات الشريفة من أنه ليس شيء أبعد من عقول الرجال في تفسير القرآن، وكذلك الرواية الشريفة صلى الله عليه وآله " إن دين الله لا يصاب العقول " تشهد بأن المقصود من دين الله الأحكام التعبدية للدين وإلا فباب إثبات الصانع والتوحيد والتقديس وإثبات المعاد والنبوة بل مطلق المعارف حقّ لطلق للعقول، ومن مختصاتهما وإن ورد في كلام بعض المحدثين من ذوي المقام العالي أن الاعتماد في إثبات التوحيد على الدليل النقلي، فمن غرائب الأمور بل من المصيبات التي لا بد أن يستعاذ بالله منها، ولا يحتاج هذا الكلام إلى التهجين والتوهين وإلى الله المشتكى.

ومن الحجب المانعة من فهم القرآن الشريف، ومن الاستفادة من معارف هذا الكتاب السماوي ومواعظه حجاب المعاصي والكدورات الحاصلة من الطغيان والعصيان بالنسبة إلى ساحة رب العالمين المقدسة، فتحجب القلب عن إدراك الحقائق.

وليعلم كما أن لكل عمل من الأعمال الصالحة أو السيئة كما أن له في صورة في عالم الملكوت^(١) تتناسب معه فله صورة أيضاً في ملكوت النفس، فتحصل بواسطتها في ملكوت النفس: أمّا النورانية ويكون القلب مطهراً ومنوراً وفي هذه الحالة تكون النفس كالمرآة المصقولة صافية، ويليق للتجليات الغيبية وظهور الحقائق والمعارف فيه، وأما أن يصير ملكوت النفس به ظلمانية وخبثية، وفي هذه الصورة يكون القلب كالمرآة

(١) - قد مر ذكره في صفحة ٥ فراجع ذلك.

المرينة والمدنسة لا تنعكس فيها المعارف الإلهية ولا الحقائق الغيبية، وحيث أن القلب في هذه الحالة يقع بالتدرج تحت سلطة الشيطان ويكون المتصرف في مملكة الروح إبليس فيقع السمع والبصر وسائر القوى أيضاً في تصرف ذاك الخبيث، وينسد السمع بالكلية عن المعارف والمواعظ الإلهية، ولا ترى العين الآيات الباهرة الإلهية وتعمى عن الحق وآثاره وآياته ولا يتفقه القلب في الدين ويحرم من التفكير في الآيات والبيّنات وتذكر الحق والأسماء^(١) والصفات^(٢)، كما قال الحق تعالى ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾^(٣). فيكون نظرهم إلى العالم كنظر الأنعام والحيوانات الخالية عن الاعتبار والتدبر، وقلوبهم كقلوب الحيوانات لا نصيب لها من التفكير والتذكر، بل تكون حالة الغفلة والاستكبار تزداد فيهم يوماً فيوم منا لنظر في الآيات واستماع المواعظ، فهم أرذل وأضلّ من الحيوان.

ومن الحجب الغليظة التي هي ستر صفيق بيننا وبين معارف القرآن ومواعظه: حجاب حبّ الدنيا، فيصرف القلب بواسطته تمام همّته في الدنيا وتكون وجهة القلب تماماً إلى الدنيا ويغفل القلب بواسطة هذه المحبة عن ذكر الله، ويعرض عن الذكر والمذكور، وكلما ازدادت العلاقة بالدنيا وأوضاعها ازداد حجاب القلب وساتره ضخامة، وربما تغلب هذه العلاقة

(١) - قد مر ذكره في ص ٥ فراجع ذلك.

(٢) - الصفات: المقصود بها عين الذات وليست الأعراض الزائدة على الذات.

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٧٩.

على القلب ويتسلط سلطان حب الجاه والشرف على القلب بحيث يطفىء نور فطرة الله بالكليّة وتغلق أبواب السعادة على الإنسان، ولعل المراد من إقفال القلوب المذكورة في الآية الشريفة ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾^(١). هذه الأقفال وأغلال العلائق الدنيوية، ومن أراد أن يستفيد من القرآن ويأخذ نصيبه من المواعظ الإلهية لا بدّ وإن يطهّر القلب من هذه الأرجاس، ويزيل لوث المعاصي القلبية وهي الاشتغال بالغير عن القلب لأن غير المطهر ليس محرماً لهذه الأسرار قال تعالى: ﴿إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلاّ المطهرون﴾^(٢). فكما أن غير المطهّر الظاهري ممنوع عن ظاهر هذا الكتاب ومسه في العالم الظاهر تشريعاً وتكليفاً، كذلك ممنوع من معارفه ومواعظه وباطنه وسره من كان قلبه متلوثاً بأرجاس التعلّقات الدنيوية، وقال تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾^(٣) إلى آخر الآية، فغير المتقي بحسب تقوى العامة وغير المؤمن بحسب إيمان العامة محروم من الأنوار الصورية لمواعظه وعقائده الحقة، وغير المتقي وغير المؤمن بحسب سائر مراتب التقوى وهي تقوى الخاص وتقوى خاص الخاص وتقوى أخصّ الخواص محروم من سائر مراتبها، والتفصيل حول تلك المراتب وذكر سائر الآيات الدالة على المقصود موجب للتطويل، ولكن نختم هذا الفصل بذكر آية شريفة إلهية تفي لأهل اليقظة بشرط التدبّر، قال تبارك وتعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور

(١) سورة محمد الآية ٢٤.

(٢) - سورة الواقعة، الآية ٧٨.

(٣) سورة البقرة الآية ٢.

وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من
الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم^(١).
فخصوصيات هذه الآية الشريفة كثيرة والبيان حول نكاتها يستلزم رسالة
على حدة ليس الآن مجالها.

في التفكير^(٢)

من آداب قراءة القرآن حضور القلب، وقد ذكرناه في الآداب المطلقة
للعبادات في هذه الرسالة ولا يلزم إعادته، ومن الآداب المهمة لها: التفكير،
والمقصود من التفكير أن يتحسس من الآيات الشريفة المقصد والمقصود،
وحيث أن مقصد القرآن كما تقوله نفس الصحيفة النوارنية هو الهداية إلى
سبل السلام والخروج من جميع مراتب الظلمات إلى عالم النور، والهداية
إلى طريق مستقيم فلا بد أن يحصل الإنسان بالتفكير في الآيات الشريفة
مراتب السلامة من المرتبة الدانية والراجعة إلى القوى الملكية إلى متهى
النهاية فيها وهي حقيقة القلب السليم على ما ورد تفسيره عن أهل البيت
وهو أن يلاقي الحق وليس فيه غيره وتكون سلامة القوى الملكية^(٣)
والملكوتية^(٤) ضالة قارئ القرآن فإنها موجودة في هذا الكتاب السماوي
ولا بد أن يستخرجها بالتفكير، وإذا صارت القوى الإنسانية سالمة عن

(١) - سورة المائدة، الآية ١٦.

(٢) الآداب المعنوية للصلاة، صفحة ٣٤٩.

(٣) - قد مر ذكره في صفحة ٥ فراجع ذلك.

(٤) - نفس المصدر.

التصرف الشيطاني وتحصل طرق السلامة وعمل بها ففي كل مرتبة من السلامة تحصل له ينجو من ظلمة ويتجلى فيه النور الساطع الإلهي قهراً حتى إذا خلص عن جميع أنواع الظلمات التي أولها ظلمات عالم الطبيعة بجميع شؤونها وآخرها ظلمة التوجه إلى الكثرة^(١) بتمام شؤونها يتجلى النور المطلق في قلبه ويهديه إلى طريق الإنسانية المستقيم وهو في هذا المقام طريق الرب ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾^(٢).

وقد كثرت الدعوة إلى التفكير وتمجيده وتحسينه في القرآن الشريف، قال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾^(٣). وفي هذه الآية مدح عظيم للتفكير، لأن غاية إنزال الكتاب العظيم السماوي والصحيفة العظيمة النورانية قد جعلت احتمال التفكير وهذا من شدة الاعتناء به حيث أن مجرد احتمالها صار موجباً لهذه الكرامة العظيمة، وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾^(٤).

والآيات من هذا القبيل أو ما يقرب منه كثيرة والروايات أيضاً في التفكير كثيرة، فلقد نقل عن الرسول الخاتم ﷺ أنه لما نزلت الآية الشريفة ﴿إن

(١) - الكثرة في الوحدة: قال الفلاسفة بأن الوجود رغم كونه واحداً يكون جامعاً بجميع مراتب الكمال والكثرات، وأن الموجودات رغم كونها متكثرة ولكنها فانية من حقيقة واحدة، لأنها ظل للوجود البسيط الواحد بالوحدة الحقيقية.

(٢) سورة هود، الآية ٥٦.

(٣) - سورة النحل، الآية ٤٤.

(٤) - سورة الأعراف: الآية ١٧٦.

في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات ﴿١﴾ إلى آخرها.. قال ﷺ: "ويل لمن قرأها ولم يتفكر بها".

والعمدة في هذا الباب أن يفهم الإنسان ما هو التفكير الممدوح، والا لا شك في أن التفكير ممدوح في القرآن والحديث، فأحسن التعبير فيه ما عبّر به الخواجة عبد الله الأنصاري قال: اعلم أن التفكر تلمّس البصيرة لاستدراك البغية، يعني أن التفكير هو تحسّس البصيرة وهي بصر القلب للوصول إلى المقصود هو السعادة المطلقة التي تحصل بالكمال العلمي أو العملي فلا بد للإنسان أن يتحصل على المقصود والنتيجة الإنسانية وهي السعادة في الآيات الشريفة للكتاب الإلهي وفي قصصه وحكاياته وحيث أن السعادة هي الوصول إلى السلامة المطلقة وعالم النور والطريق المستقيم فلا بد للإنسان أن يطلب من القرآن المجيد الشريف سبل السلامة ومعدن النور المطلق والطريق المستقيمة كما أشير إليها في الآية الشريفة السابقة، فإذا وجد القارئ المقصد وتبصّر في تحصيله وانفتح له طريق الاستفادة من القرآن الشريف وفتحت له أبواب رحمة الحق فإنه لا يصرف عمره القصير العزيز ورأس مال تحصيل سعادته على أمور ليست مقصودة لرسالة الرسول ويكف عن فضول البحث وفضول الكلام، في مثل هذا الأمر المهم فإذا أشخص بصيرته مدّة إلى هذا المقصود وصرف نظره عن سائر الأمور تتبصّر عين قلبه ويكون بصره حديداً ويكون التفكير في القرآن للنفس أمراً عادياً وتفتح طرق الاستفادة وتفتح له أبواب ليس مفتوحة له

(١) - سورة آل عمران، الآية ١٩٠.

إلى الآن، ويستفيد مطالب ومعارف من القرآن ما كان يستفيدها إلى الآن بوجه، فحين ذاك يفهم كون القرآن شفاء للأمراض القلبية ويدرك مفاد الآية الشريفة ﴿ونزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾^(١) ومعنى قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه "وتعلموا القرآن فإنه ربيع القلوب واستشفعوا بنوره فإنه شفاء الصدور" ولا يطلب من القرآن شفاء الأمراض الجسمانية فقط بل يجعل عمدة المقصد شفاء الأمراض الروحانية الذي هو مقصد القرآن بل القرآن ما نزل لشفاء الأمراض الجسمانية وإن كان يحصل به كما أن الأنبياء لم يبعثوا للشفاء الجسماني وإن كانوا يشفون فهم أطباء النفوس والشافين للقلوب والأرواح.

في التطبيق^(٢)

من الآداب المهمة لقراءة القرآن التي تنيل الإنسان نتائج كثيرة والاستفادات غر المعدودة هو التطبيق، وكيفيته انه حينما يتفكر في كل آية من الآيات الشريفة يطبق مفادها في حالة ويرفع نقصانه بواسطة هذا التطبيق ويشفي أمراضه به، مثلاً في قصة آدم عليه السلام والشريفة يتفكر أن مطرودية الشيطان عن جناب القدس مع تلك السجادات والعبادات الطويلة لماذا؟ فيطهر نفسه منه لأن مقام القرب الإلهي مقام المطهرين، فمع الأوصاف والأخلاق الشيطانية لا يمكن القدوم إلى ذلك الجناب الرفيع،

(١) سورة الإسراء الآية ٨٢

(٢) الآداب المعنوية للصلاة - صفحة ٣٥٣.

ويستفاد من الآيات الشريفة أن مبدأ عدم سجود إبليس هو رؤية النفس والعجب فقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين.. فهذا العجب صار سبباً لحب النفس والاستكبار، وصار سبباً للاستقلال والاستكبار وعصيان الأمر فصار مطروداً عن الجناب ونحن خطبنا الشيطان من أول عمرنا ملعوناً ومطروداً واتصفنا بأوصافه الخبيثة ولم نتفكر في أن ما هو سبب المطرودية عن جناب القدس إذا كان موجوداً في أي شخص، فهو مطرود وليس للشيطان خصوصية، فما كان سبباً لطرده عن جناب القدس يكون مانعاً من أن نتطرق إليه، وأنا أخاف من أن نكون شركاء إبليس في الثمن الذي نلعه.

ونتفكر أيضاً في هذه القضية الشريفة ونرى ما هو السبب لمزية آدم وأفضليته على الملائكة، فتصف نحن أيضاً بمقدار الطاقة بذاك السبب فنرى أن سبب التفضيل هو تعليم الأسماء ^(١) كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ ^(٢) والمرتبة العالية من الإحصاء الذي هو في الرواية الشريفة أن له تسعاً وتسعين إسماً من أحصاها دخل الجنة، هو التحقق بحقيقتها التي تنيل الإنسان إلى جنة الأسماء.

الإنسان يستطيع أن يكون مظهراً لأسماء الله، والآية الكبرى الإلهية بالارتياضات القلبية ويكون وجوده وجوداً ربانياً ويكون المتصرف في مملكته يدا الجمال والجلال الإلهي، وفي الحديث وما يقرب من هذا

(١) قد مر ذكره في صفحة ٥ فراجع ذلك.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣١.

المعنى من أن "روح المؤمن أشدّ اتصالاً بالله تعالى من اتصال شعاع الشمس بها أو بنورها".

وفي الحديث الصحيح: "لا يزال يتقرّب إليّ عبدي بالنوافل حتى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يأخذ بها". وفي الحديث "علي عين الله ويد الله" إلى غير ذلك.. وفي الحديث: نحن أسماؤه الحسنی، والشواهد العقلية والنقلية في هذا بخصوصه كثيرة.

وبالجملة من أراد أن يأخذ من القرآن الشريف الحظ الوافر والنصيب الكافي فلا بد له أن يطبّق كل آية شريفة من الآيات على حالات نفسه حتى يستفيد استفادة كاملة، مثلاً يقول الله تعالى في سورة الأنفال في الآية الشريفة: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾^(١). فلا بد للسالك من أن يلاحظ هل هذه الأوصاف الثلاثة منطبقة عليه، وهل قلبه يجلّ إذا ذكر الله ويخاف؟ وإذا تليت عليه الآيات الشريفة الإلهية يزداد نور الإيمان في قلبه؟ وهل اعتماده وتوكله على الحق تعالى؟ أو انه في كل من هذه المراحل راجل ومن كل هذه الخواص محروم؟ فإذا أراد أن يفهم انه من الحق تعالى خائف وقلبه من خوفه وجل فلينظر إلى أعماله.

الإنسان الخائف لا يتجاسر في محضر الكبرياء إلى مقامه المقدس ولا يهتك الحرمات الإلهية في حضور الحق، وإذا قوي الإيمان بتلاوة الآيات

(١) سورة الانفال، الآية ٢.

الإلهية يسري نور الإيمان إلى المملكة الظاهرية أيضاً، فغير ممكن أن يكون القلب نورانياً ولا يكون اللسان والكلام والعين والنظر والسمع والاستماع نورانياً، فالبشر النوارني هو الذي تكون جميع قواه الملكية^(١) والملكوية^(٢) منيرة، فمضافاً إلى هداية نفسه إلى السعادة والطريق المستقيم يكون مضيئاً لسائر الخلق أيضاً ويهديهم إلى طريق الإنسانية كما انه إذا توكل احد على الله تعالى واعتمد عليه فيقطع الطمع عما في أيدي سائر الخلق ويحط رحل حاجته وفقره إلى باب الغنى المطلق ولا يرى سائر الذين هم مثله فقراء ومساكين حلالين لمشاكله، فوظيفة السالك إلى الله هي أن يعرض نفسه على القرآن الشريف، فكما أن الميزان في صحة الحديث وعدم صحته واعتباره وعدم اعتباره أن يعرض على كتاب الله فما خالف كتاب الله فهو باطل وزخرف، كذلك الميزان في الاستقامة والاعوجاج والشقاوة والسعادة هو أن يكون مستقيماً وصحيحاً في ميزان كتاب الله، وكما أن خلق رسول الله ﷺ هو القرآن فاللازم له أن يجعل خلقه موافقاً للقرآن حتى يكون مطابقاً لخلق الولي الكامل أيضاً، والخلق الذي يكون مخالفاً لكتاب الله فهو زخرف وباطل.

وكذلك جميع المعارف وأحوال قلبه وأعمال الباطن والظاهر له لا بد أن يطبقها على كتاب الله ويعرضها عليه حتى يتحقق بحقيقة القرآن ويكون القرآن له صورة باطنية.

بأحرفه يظهر المضمرة

وأنت الكتاب المبين الذين

(١) - قدر مر ذكره في صفحة ٥ فراجع ذلك.

(٢) نفس المصدر.

وفي هذا المقام آداب آخر قد ذكرنا بعضها في أول هذه الرسالة في آداب مطلق العبادات وبعضها مندرج في هذه الآداب، وذكر بعضها ينجس إلى التطويل، فهذه الجملة صرفنا النظر عنه والله العالم.

في فضل تلاوة القرآن (١)

إن من وصايا الرسول الأكرم ﷺ الأمر بتلاوة القرآن "وَعَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ عَلَى كُلِّ حَالٍ" وإن عقلنا القاصر لا يستوعب فضيلة تلاوة القرآن وحمله وتعلّمه والتمسك به وملازمته والتدبر في معانيه وأسراره، وما نقل عن أهل بيت العصمة عليهم السلام "في ذلك أكثر من طاقة هذا الكتاب واستيعابه، ونحن نقتصر على ذكر بعضها.

الكافي: بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "القرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده وان يقرأ منه في كل يوم خمسين آية". (٢)

وإسناده عن الزُّهريّ قال : سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يقول : آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزينه ينبغي لك أن تنظر فيها ". (٣)

والمستفاد من هذين الحديثين انه حريّ بقرّاء القرآن التدبّر في آياته والتفكّر في معانيه، وان التمعّن والتأمل في الآيات الكريمة الإلهية، واستيعاب المعارف والحكم والتوحيد من القرآن العظيم، لا يكون من

(١) - الآداب المعنوية للصلاة - ص ٥٣٢.

(٢) - أصول الكافي، المجلد الثاني ، كتاب فضل القرآن ، باب في قراءته ج ١ و٣.

(٣) نفس المصدر.

التفسير بالرأي المنهي عنه الذي يلتجأ إليه أصحاب الرأي والأهواء الفاسدة، الذين لا يتمسكون برأي أهل بيت الوحي، المخاطبين بالكلام الإلهي، كما ثبت ذلك في محلّه، ولا داعي للولوج في هذا الموضوع والإسهاب فيه، ويكفينا قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(١)

ووردت أحاديث كثيرة تأمرنا بالرجوع إلى القرآن والتعمق في آياته، فقد نقل عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: " ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر".^(٢)

ويأسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية كتب من الخاشعين، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب من الفائزين، ومن قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين، ومن قرأ ألف آية كتب له قنطار من بر، القنطار خمسة عشر ألف مثقال من ذهب والمثقال أربعة وعشرون قيراطاً أصغرها مثل جبل احد وأكبرها ما بين السماء والأرض".^(٣)

وجاء في الأحاديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: " من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه وجعله الله عز وجل مع السفارة

(١) - سورة محمد صلى الله عليه وآله، الآية ٢٤.

(٢) - بحار الانوار - المجلد ٩٢ ص ٢١١.

(٣) - اصول الكافي، المجلد الثاني، كتاب فضل القرآن، باب ثواب قراءة القرآن،

الكرام البررة وكان القرآن حجيلاً عنه يوم القيامة يقول يا رب إن كل عامل قد أصاب اجر عمله غير عاملي فبلغ به أكرم عطياك قال فيكسوه الله العزيز الجبار حلتين من حلال الجنة ويوضع على رأسه تاج الكرامة، ثم يقال له هل أرضيناك فيه؟ فيقول القرآن يا رب قد كنت أرغب له فيما هو أفضل من هذا فيعطي الأيمن والخلد يساره ثم يدخل الجنة فيقال له اقرأ واصعد درجة ثم يقال له هل بلغنا به وأرضيناك فيقول نعم. (١)

وفي نفس الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام : " ومن قرأه كثيراً وتعاهده بمشقة من شدة حفظه أعطاه الله عز وجل أجر هذا مرتين ". (٢)

ويتبين من هذا الحديث الشريف أن المطلوب من تلاوة القرآن الكريم هو تأثيره في أعماق قلب الإنسان، وصيرورة باطنه صورة كلام الله المجيد، وتحويل ما هو ملكة القلب من القرآن الكريم إلى التحقق والفعالية وذلك حسب ما ورد في الحديث المذكور " من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه " حيث يكون كناية عن استقرار صورة القرآن في فؤاده، بدرجة يتحول باطن الإنسان حسب استعداده وأهليته إلى كلام الله المجيد والقرآن الكريم.

وفي حملة القرآن من تحول تمام باطنه إلى حقيقة الكلام الجامع الإلهي، والقرآن الجامع والفرقان القاطع وذلك مثل الإمام علي بن أبي طالب والمعصومين من أولاده الطاهرين "عليهم السلام"، حيث يكون

(١) - أصول الكافي، المجلد الثاني ، كتاب فضل القرآن، باب فل حامل القرآن، ح ٤، ص ٦٠٣ .

(٢) - نفس المصدر .

وجودهم آيات إلهية وآيات الله العظمى، والقرآن التام والتمام، بل إن هذا هو المطلوب من جميع العبادات كما انه من الأسرار الهامة للعبادات، وان تكرار الصلاة من أجل تحقيق هذه الحقائق العبادية، وتحويل ذات الإنسان وقلبه إلى صورة العبادة.

وفي الحديث: إن علياً عليه السلام صلاة المؤمنين وصيامهم".^(١)

في بيان أن العبادة تؤثر في الشباب^(٢)

ويتم بالقرآن الكريم التأثير القلبي والتحول الباطني بصورة أفضل فترة الشباب، لأن قلب الفتى لطيف وبسيط وذو نقاء وصفاء أكثر، وان إرادته قليلة، وتضارب الأفكار وتهافتها فيه قليل، فيكون شديد الانفعال والتأثر وسريع التقبل.

إذن يجب على الشباب حتى إذا كانت قلوبهم مطمئنة بالإيمان، أن يتجهوا إلى كيفية تفاعلهم وعشرتهم مع الآخرين، ويتورعوا عن الاختلاط مع السيئين، بل إن الصداقة والاختلاط مع العصاة وذوي الخلق الفاسد والسلوك المنحرف مسيء لجميع الناس من أي طبقة كانوا، ويجب أن لا

(١) يضاهي هذا الحديث ما ورد في البحار، المجلد ٣٤، ح ١٤، ص ٣٠٣، عن داود بن كثير قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أنتم الصلاة في كتاب الله عز وجل وانتم الزكاة وانتم الحج؟ فقال يا داود نحن الصلاة في كتاب الله عز وجل ونحن الزكاة ونحن الصيام و...

(٢) الأربعون حديثاً، ص ٥٣٤.

يكون احد مطمئناً بنفسه ومغروراً بإيمانه أو أخلاقه وأعماله، كما ورد في الأحاديث الشريفة الأمر بالابتعاد عن معاشره أهل المعصية.

في آداب تلاوة القرآن^(١)

وملخص القول إن المبتغى من خلال تلاوة القرآن هو ارتسام صورة القرآن في القلب وتأثير الأوامر والنواهي فيه، وتثبيت الأحكام والتعاليم الإلهية، ولا يتحقق هذا إلا في ظل مراعاة آداب القراءة، وليس الهدف من الآداب ما هو المعروف لدى بعض القراء من الاهتمام البالغ بمخارج الألفاظ، وأداء الحروف هذا الاهتمام الباعث مضافاً إلى الغفلة عن المعاني والتدبر فيها، إلى إبطال التجويد بعض الأحيان، فإن كثيراً من الكلمات القرآنية نتيجة مثل هذا التجويد، تفقد صورتها الخلابة الأصيلة، وتتحول إلى صورة أخرى، ذات صورة ومادة تختلف عما أرادها الله تعالى. إن هذا يُعتبر من مكائد الشيطان حيث يلتهى الإنسان المؤمن إلى آخر عمره بألفاظ القرآن، وينسى نهائياً استيعاب سر نزول القرآن، وحقيقة الأوامر والنواهي، والدعوة إلى المعارف الحقّة، والخلق الفاضل الحسن بل ينكشف لديه بعد مضي خمسين عاماً انه من جرّاء تغليظ بعض الحروف، والتشديد فيها، قد أخرج صورة بعض الكلمات كلياً عن حالتها الطبيعية وأصبحت ذات صورة غريبة.

(١) الاربعون حديثاً ص ٥٣٥.

بل الهدف المنشود من وراء آداب قراءة القرآن تلك الآداب التي وردت في الشريعة المقدسة والتي يعدّ من أفضلها وأعظمها في التفكير والتدبر في آيات القرآن كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

في الكافي الشريف بسنده إلى الإمام الصادق عليه السلام قال : إن هذا القرآن فيه منار الهدى ومصايح الدجى، فليجل جال بصره ويفتح للضياء نظره، فإن التفكير حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور". (١) وفي المجالس بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام في كلام طويل في وصف المتقين : " وإذا مرّوا بأية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وأبصارهم فاقشعرت منها جلودهم ووجلّت قلوبهم فظنوا أن سهيل جهنم وزفيرها وشهيقها في أصول آذانهم، وإذا مرّوا بأية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً وتطلّعت أنفسهم إليها شوقاً وظنّوا أنها نصب أعينهم". (٢)

ومن الواضح أن من يتمعّن ويتدبر في معاني القرآن الكريم، يتأثر قلبه، ويبلغ مقام المتقين شيئاً فشيئاً، وإن حظي بتوفيق وسداد من الله، تجاوز هذا المقام أيضاً ولتحوّل كل عضو وجارحة وقوة منه إلى آية من الآيات الإلهية، ولعلّ جذوات خطاب الله وجذباته، ترفعه وتبلغ به إلى مستوى إدراك حقيقة "اقرأ واصعد" (٣) في هذا العالم وانتهى إلى مرحلة سماع الكلام من المتكلم من دون واسطة، وتحوّل إلى موجود لا يسع الإنسان فهمه واستيعابه.

(١) أصول الكافي، المجلد ٢، كتاب فضل القرآن، ح ٥.

(٢) وسائل الشيعة، المجلد ٤، الباب ٣ من أبواب قراءة القرآن، ح ٦.

(٣) أصول الكافي، المجلد الثاني كتاب فضل القرآن، باب فضل حامل القرآن، ح ٤.

الإخلاص في القراءة*

ومن الآداب اللازمة في قراءة القرآن، والتي لها دور أساسي في التأثير في القلب والتي لا يكون من دونها لأي عمل أهمية وشأن، بل يعتبر ضائعاً وباطلاً وباعثاً على السخط الإلهي، هو الإخلاص، فإنه ركن أصيل للانطلاق إلى المقامات الأخروية، ورأس مال في التجارة الأخروية.

وقد ورد في هذا الباب أيضاً أخبار كثيرة من أهل بيت العصمة "عليهم السلام" منها ما حدثنا الشيخ الكليني رضوان الله تعالى عليه.

بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: "قرأ القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتخذة بضاعة واستدرّ به الملوك واستطال به على الناس. ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفة وضيّع حدوده وأقامه إقامة القدح. فلا كثر الله هؤلاء من حملة القرآن، ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فاسهر به ليله واطمأ به نهاره وقام به في مساجده وتجافى به عن فراشه، فبأولئك يدفع الله العزيز الجبار البلاء وبأولئك يدل الله من الأعداء، وبأولئك ينزل الله الغيث من السماء، فو الله لهؤلاء في قراءة القرآن أعزّ من الكبريت الأحمر".^(١)

* الأربعون حديثاً، صفحة ٥٣٦.

(١) - أصول الكافي، المجلد ٢، ص ٦٠٤، كتاب فضل القرآن باب النوادر، ح ١ ص ٦٢٧.

وعن "عقاب الأعمال" بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، عن آبائه "عليهم السلام" قال: "من قرأ القرآن يأكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظم لا لحم فيه".^(١)

وإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث قال: "من تعلم القرآن فلم يعمل به وآثر عليه حب الدنيا وزينتها استوجب سخط الله وكان في الدرجة مع اليهود والنصارى الذين يبنذون كتاب الله وراء ظهورهم. ومن قرأ القرآن يريد به سمعة والتماس الدنيا لقي الله يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم وزج القرآن في قفاه حتى يدخله النار ويهوى فيها مع من هوى.

ومن قرآن القرآن ولم يعمل به حشره الله يوم القيامة أعمى فيقول: يا رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى، فيؤمر به إلى النار.

ومن قرآن القرآن ابتغاء وجه الله وتفقهاً في الدين كان له من الثواب مثل جميع ما أعطي الملائكة والأنبياء والمرسلون.

ومن تعلم القرآن يريد به رياء وسمعة ليُماري به السفهاء ويباهي به العلماء ويطلب به الدنيا بدد الله عظامه يوم القيامة ولم يكن في النار أشد عذاباً منه، وليس نوع من أنواع العذاب إلا سيعذب به من شدة غضب الله عليه وسخطه، ومن تعلم القرآن وتواضع في العلم وعلم عباد الله وهو يريد ما عند الله لم يكن في الجنة أعظم ثواباً منه ولا أعظم منزلة منه ولم يكن

(١) - وسائل الشيعة، المجلد ٤، ص ٨٣٧.

في الجنة منزل ولا درجة رفيعة ولا نفيسة إلا وكان له فيها أوفر النصيب وأشرف المنازل".^(١)

في معنى الترتيل^(٢)

ومن آداب قراءة القرآن الكريم التي تبعث على التأثير في النفس، ويجدر بالقارئ أن يراعيها، هو الترتيل في التلاوة، وهو كما في الحديث عبارة عن الحد الوسط بين السرعة والعجلة من جهة، والتأني والفتور المفرطين الموجبين لتفرّق الكلمات وانتشارها من جهة أخرى.

عن محمد بن يعقوب بإسناده عن عبد الله بن سليمان قال: " سألت ابا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ قال عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: " تبينه تبياناً (تبييناً - خ ل) ولا تهدّه هدّ الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن افرغوا قلوبكم القاسية ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة".^(٣) (أي لا يكن هدفكم ختم القرآن في أيام معدودة أو الإسراع في قراءة السورة والبلوغ إلى آخرها).

فالإنسان الذي يريد أن يتلو كلام الله، ويداوي قلبه القاسي، ويشفي أمراضه القلبية من خلال قراءته للكلام الجامع الإلهي، ويطوي مع نور هداية هذا المصباح الغيبي المنير، وهذا النور على النور السماوي، طريق الوصول إلى المقامات الأخروية والمدارج الكمالية، لا بد لهذا الإنسان من

(١) وسائل الشيعة، المجلد ٤، الباب ٩، من أبواب تكبيرة الإحرام، ح ٧ و ١١ ص ٧٣٧.

(٢) - الأربعون حديثاً، ص ٥٣٨.

(٣) - أصول الكافي، المجلد الثاني، ص ٦١٤.

توفير الأسباب الظاهرية والباطنية والآداب الصورية والمعنوية. أما أمثالنا عندما نقرأ القرآن بعض الأحيان فمضافاً إلى أننا نغفل نهائياً عن معاني الآيات الكريمة، وأهدافها السامية وأوامرها ونواهيها ووعظها وزجرها، وكأن آيات الجنة ونعيمها، وآيات جهنم والعذاب الأليم لا تعيننا، بل - نعوذ بالله - يكون انتباهنا وتوجه قلبنا عند قراءة الكتب القصصية أكثر من توجهنا حين تلاوتنا للآيات المجيدة، مضافاً إلى ذلك فإننا في غفلة حتى عن الآداب الظاهرية لقراءة القرآن الكريم.

وقد ورد في الأحاديث الشريفة، الأمر بقراءة القرآن بصوت حزين وجميل ، وعن أبي الحسن عليه السلام قال ذكرت الصوت عنده فقال إن علي بن الحسين عليه السلام كان يقرأ فربما مرّ به المار فصعق من حسن صوته، وإن الإمام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس من حسنه ^(١) ونحن عندما نريد أن نُري للناس صوتنا الحسن وأنغامه الجميلة نلتجأ إلى قراءة القرآن أو الآذان من دون أن نستهدف تلاوة القرآن والعمل بهذا الاستحباب، وعلى كل حال إن مكائد الشيطان وأضاليل النفس الأمارة كثيرة، وغالباً ما يلتبس الحق بالباطل، والحسن بالقبيح، فيجب أن نلوذ بالله سبحانه ونعوذ به من هذه الأشرار والأفخاخ.

(١) - أصول الكافي المجلد الثاني، باب ترتيل القرآن، ح ٤.

التوصية بالأنس بالقرآن وتحقيق وتعريف أبعاده المختلفة^(١)

نذكر الزوار المحترمين أن لا يغفلوا في هذه المواقف المعظمة وطوال سفرهم إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة عن الأنس بالقرآن الكريم هذه الصحيفة الإلهية وكتاب الهداية فما لدى المسلمين الآن وما سيكون لديهم على امتداد تاريخ الماضي والمستقبل هو من بركات هذا الكتاب المقدس الغنية وهذه الفرصة فأطلب من جميع العلماء الأعلام وأبناء القرآن والمفكرين القديرين أن لا يغفلوا على الكتاب المقدس الذي هو تبيان كل شيء وصادر من مقام الجمع الإلهي ليسطع في قلب النور الأول وظهور جمع الجمع.^(٢)

إن هذا الكتاب الإلهي الذي هو صورة عينية وكتيبة عن جميع الأسماء والصفات والآيات والبيانات وتقصر أيدينا عن مقاماته الغيبية ولا أحد يطلع على أسراره غير وجود الأقدس الجامع (من خوطب به) وقد أخذه ببركة تلك الذات المقدسة وبتعليمه لهم خلص الأولياء العظام واستفاد خلص أهل المعرفة بشعاع منه وبحسب قابليتهم ومراتب سيرهم وذلك بالمجاهدات والرياضات القلبية، والآن وبعد أن أصبحت صورته الكتبية في متناولنا بعد أن نزلت بلسان الوحي على مراحل ومراتب من دون زيادة أو نقصان وحتى لو حرف واحد.

(١) - القرآن باب معرفة الله، صفحة ٦٧.

(٢) - قد مر ذكره في صفحة ١٢ فراجع ذلك.

فلا قدر الله أن يهجر مع أن أبعاده المختلفة والمراحل والمراتب في كل بعد بعيدة عن متناول البشر العاديين، لكن يستخلص أهل المعرفة والتحقيق في الفروع المختلفة وبيانات ولغات متفاوتة وما يمكن فهمه من خزنة العرفان الإلهي اللامتناهية ومن بحر الكشف^(١) المحمدي المواجه، وذلك حسب علمهم ومعرفتهم وقابلياتهم وليقدموها للآخرين. وكذلك أصحاب الفلسفة والعرفان فليبحثوا في الرموز الخاصة بهذا الكتاب الإلهي وليحلوا بإشاراته تلك المسائل العميقة القديمة والبراهين الإلهية الفلسفية وليضعوها في متناول أهلها.

وليقدم الفضلاء أصحاب الآداب القلبية والمراقبات الباطنية جرعة هدية منهم مما قد نالوه من قلب العوالم (أدبني ربي) لعطاشى هذا الكوثر وليؤدّبونهم بآداب الله في الحد الميسور، وليقدم المتقين المتعطين للهداية بارقة من نور التقوى من عين ﴿هدى للمتقين﴾ النابعة للعاشقين المحترمين لهداية الله عز وجل. وأخيراً فلتعمل كل طائفة من العلماء الأعلام والمفكرين العظماء على بعد من الأبعاد الإلهية لهذا الكتاب المقدس، وليحملوا الأقلام ويحققوا أمنية عاشقي القرآن وليصرفوا أوقاتهم على الأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والحرب والسلام في القرآن الكريم، ليصبح معلوماً أن هذا الكتاب مصدر كل شيء، من العرفان والفلسفة حتى الأدب والسياسة لكي لا يقول الجهلاء، إن العرفان والفلسفة من صنع الخيال والوهم، والرياضة والسير

(١) - قد مر ذكره في ص ٩ فراجع ذلك.

والسلوك من أعمال الدراويش، أو ما دخل الإسلام بالسياسة والحكومة وإدارة البلاد، وإن هذا عمل السلاطين ورؤساء الجمهوريات وأهل الدنيا، أو أن الإسلام دين صلح ومسالمة ويتبرىء حتى من حرب الظالمين، وقد جلبوا للقرآن ما جلبته الكنيسة الجاهلة والسياسيين الماكرين لدين المسيح العظيم.

أيتها الحوزات العلمية وجامعات أهل التحقيق قوموا وانقذوا القرآن الكريم من شر الجاهلين المتنسكين والعلماء المتهتكين الذين هاجموا ويهاجمون القرآن عمداً وعن علم فإنني أقول بشكل جدي وليس (للتعارف العادي) أنني أتأسف لعمرى الذي ذهب هباءً في طريق الضلال والجهالة، وأنتم يا أبناء الإسلام الشجعان ايقظوا الحوزات والجامعات للإلتفات إلى شؤون القرآن وأبعاده المختلفة جداً، واجعلوا تدريس القرآن في كل فروعه مد نظركم وهدفكم الأعلى، لئلا لا قدر الله أن تندموا في آخر عمركم عندما يهاجمكم ضعف الشيخوخة على أعمالكم وتأسفوا على أيام الشباب، كالكاظم نفسه.

المصادر

منهجية الثورة الإسلامية - للإمام الخميني قده

الأربعون حديثاً - للإمام الخميني قده

الآداب المعنوية للصلاة - للإمام الخميني قده

القرآن باب معرفة الله - للإمام الخميني قده

محتويات الكتاب

١.....	المقدمة.....
٦.....	إخواني المسلمين، أخواتي المسلمات.....
٧.....	كتاب الله وقصته في التاريخ *.....
١٥.....	عظمة القرآن*.....
١٩.....	القرآن جوامع الكلم*.....
٢١.....	شروط فهم القرآن*.....
٢٢.....	مائدة القرآن الواسعة*.....
٢٥.....	تفسير القرآن*.....
٢٧.....	صعوبة فهم باطن القرآن.....
٣٠.....	الاستفادات ذات البعد الواحد من القرآن.....
٤٢.....	في بيان طريق الاستفادة من القرآن الكريم.....
٤٨.....	في بيان رفع الموانع والحجب بين المستفيد والقرآن.....
٥٨.....	في التفكير.....
٦١.....	في التطبيق.....
٦٥.....	في فضل تلاوة القرآن.....
٦٨.....	في بيان أن العبادة تؤثر في الشباب.....
٦٩.....	في آداب تلاوة القرآن.....
٧١.....	الإخلاص في القراءة.....
٧٣.....	في معنى الترتيل.....

٧٥.....	التوصية بالأنس بالقرآن وتحقيق وتعريف أبعاده المختلفة
٧٨.....	المصادر
٧٩.....	محتويات الكتاب